الفساد
كيف نكافحه ؟

كتاب « مهارات مقاومة ومواجهة الفساد » للدكتور محمد عبد الغني هلال ، سلسلة مهارات تطوير الأداء ، نشر قرطبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٩هـ ، ١٨٨ صفحة .

محمد عبد الغني هلال له كتب أخرى ، منها ما ذكره في قائمة المراجع :

ـ مهارات إدارة الأداء ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

ـ مهارات تحديث ونقل الخبرة ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

يتألف كتاب الفساد من سبعة فصول :

ـ **الفصل الأول** : المفاهيم والأسباب .

ـ **الفصل الثاني** : العوامل المسببة للسلوك الفاسد .

ـ **الفصل الثالث** : البناء المؤسسي للمنظمات والوقاية من الفساد

ـ **الفصل الرابع** : الحوكمة (الحكم الراشد) ومقاومة الفساد .

ـ **الفصل الخامس** : تغيير السياسات الإدارية لمواجهة الفساد .

ـ **الفصل السادس** : محاربة الفساد .

ـ **الفصل السابع** : منظمة الشفافية الدولية .

سأعرض الكتاب من خلال العناوين التالية :

تعريف الفساد

استغلال المصلحة العامة لتحقيق مصلحة خاصة غير مشروعة : رشوة ، ابتزاز ، سرقة ، اختلاس ، خيانة أمانة ، تزوير ، ظلم ، كذب ، محسوبية ، لامبالاة ، تسيُّب ، تلاعب ، احتيال ، تمييز عنصري ، هدر المال العام ، تهريب ، تهرب من الضرائب والجمارك وسداد القروض ، مخدرات ، تعطيل مصالح الناس ، استغلال الضعفاء كالعمال والنساء والأطفال .

انتشار الفساد

الفساد ينتشر كالسرطان ، ولا يتم اكتشافه إلا بعد فترة من الزمن .

أنواع الفساد

- عرضي .
- مؤسسي .
- منظم .

أسباب الفساد

- تنحية الدِّين والخلق عن الحياة .
- نظام سياسي استبدادي : زعماء فاسدون .
- قضاء فاسد : إجراءات طويلة ومعقدة ، تكافئ الظالم ، وتعاقب المظلوم .
- الجمع بين المال والسلطة .

ـ سوء استخدام السلطة .

ـ عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب .

ـ الخلل في الثواب والعقاب .

ـ إخفاء المعلومات ونقص الشفافية والإفصاح .

ـ الصفقات السرية .

ـ غموض القوانين واللوائح وكثرة الاستثناءات والتجاوزات .

ـ ضعف الرقابة والمحاسبة والمساءلة .

ـ استخدام نظم محاسبية غير مناسبة ، واستخدام نوعين أو أكثر من الدفاتر .

ـ عدم الاكتراث بشكاوى الناس وتظلماتهم .

آثار الفساد

ـ الإثراء غير المشروع .

ـ تركز الثروة والسلطة في يد حفنة قليلة من الفاسدين ، ووجود فئة قليلة ثرية ، وأغلبية فقيرة .

ـ انهيار عملية النمو والتنمية ، وتقويض خطط التنمية وبرامجها ، وضعف الإنتاجية .

ـ إفلاس الشركات والمنشآت ، مع ما يترتب على ذلك من تشريد العمال والموظفين .

ـ انتشار المنازعات والجرائم والاختلاسات والسرقات والمخدرات .

ـ انهيار المباني والجسور نتيجة الغش في المواد والصنعة .

ـ غسل الأموال .

الحوكمة

ظهر مصطلح الحوكمة في ثمانينيات القرن الماضي ، حيث بدأت المنظمات الدولية في استخدام عبارة « الحكم الجيد » Good Governance التي تحولت بعد ذلك إلى الحوكمة أو الحكم الراشد . ثم أعاد البنك الدولي استخدامه في البرامج السياسية والتنموية . وهو مشتق من لفظ « الحكومة » . وهو يعني مجموعة من الإجراءات التي تهدف إلى تخفيض تكاليف الصفقات أو الإدارة الاقتصادية الفعالة ، عن طريق الشفافية والمساءلة . وانتقل هذا المصطلح بعد ذلك من الحكومات إلى المنشآت والشركات ، ولعل هذا ما يفسر اشتقاق اللفظ .

ولا يمكن أن يكون لحوكمة الحكومات وجود إلا بوجود :

- ديمقراطية حقيقية .
- شفافية في إدارة الدولة .
- سلطة قضائية قوية .
- تعددية سياسية .
- معارضة حقيقية .
- رقابة شعبية (مجالس نيابية) .
- حرية تعبير .
- حرية اطلاع واستقصاء ومساءلة .

الحوكمة والمسؤولية الاجتماعية

تؤكد الحوكمة على محاربة الفساد وعلى المسؤولية الاجتماعية للمنظمات والمؤسسات . وتتلخص المسؤولية الاجتماعية في عدد من القواعد ، منها :

ـ احترام حقوق الإنسان .

ـ احترام حق التنظيم والمفاوضة الجماعية .

ـ القضاء على كافة أشكال التمييز .

ـ منع سوء استغلال عمل الأطفال .

ـ حماية البيئة .

ـ نشر التكنولوجيا غير الضارة بالإنسان .

كيف نحارب الفساد ؟

ـ وضع معايير لاختيار القيادات الكفؤة والنزيهة .

ـ إعلان الحرب على الفساد ، وليس مجرد رفع الشعارات والفرقعات الإعلامية والخطب الرنانة .

ـ الحوكمة .

ـ الشفافية في البيانات والإحصائيات والمعلومات .

ـ الشفافية في إدارة المزايدات والمناقصات والمشتريات الحكومية .

ـ الاهتمام بالتعليم والتدريب .

ـ إصلاح سياسي وإداري تشترك فيه جميع فئات المجتمع في عمليات صنع القرار .

ـ وضع نظام للحوافز يقلل من فرص الفساد .

ـ عقوبات صارمة وفورية لكل من يسهم في الفساد أو يشجعه ، لا تمييز فيها بين صغير وكبير .

ـ بناء منظومة من القيم الفاضلة في المجتمع لإيجاد نوع من الرقابة الداخلية (رقابة الضمير) .

ـ توفير صناديق للشكاوى ، وخطوط هاتفية ، وبريد إلكتروني ، وأجهزة للإنذار المبكر .

ـ الزيارات التفتيشية المفاجئة .

ـ تطوير الحلول تطويرًا مستمرًا ؛ لأن الاستمرار في حلول الماضي يولد مشكلات الحاضر . فعلينا ألا نحبس أنفسنا في الحلول المألوفة والمعتادة .

منظمة الشفافية الدولية

أنشئت في برلين عام ١٩٩٥م . وتهدف إلى ما يلي :

ـ حماية المصلحة العامة ؛ لأن الفساد يحطم برامج التنمية ، وينتهك حقوق الإنسان .

ـ نشر الديمقراطية ؛ ولاسيما في البلدان النامية .

ـ التأكيد على القيم الأخلاقية ؛ لأن الفساد يشوّه نزاهة المجتمع .

ـ حماية حركة السوق والمجتمع ؛ لأن الفساد يشوّه السوق ، ويسلب منافع المجتمع .

ـ إصدار تقرير سنوي عن الفساد في مختلف بلدان العالم ، ترتب فيه هذه البلدان حسب مستويات الفساد السائدة فيها .

مراجع أخرى في الفساد

ـ التعاون الدولي لمكافحة الفساد ، روبرت كليتجارد ، مجلة التمويل والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ، مارس ١٩٩٨م .

ـ الفساد والتنمية ، دانيال كوفمان وشيريل جراي ، مجلة التمويل

والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ، مارس ١٩٩٨م .

ـ الفساد : الأسباب والنتائج ، باولو مورو ، مجلة التمويل والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ، مارس ١٩٩٨م .

ـ المال السهل : قاموس الفساد في فرنسا ، جيلز غتنر ، ستوك ، باريس ، ١٩٩١م (بالفرنسية) .

* * *

هل نستطيع السيطرة على الفساد ؟

السيطرة على الفساد Controlling Corruption عنوان كتاب **روبرت كليتجارد** Robert Klitgaard ، ترجمة علي حسين حجّاج ، ومراجعة فاروق جرّار ، دار البشير ، عمّان ، ١٩٩٤م ، ٢٨٥ صفحة ، والنسخة الإنكليزية تاريخها ١٩٨٨م .

سأقوم بتلخيص الكتاب تحت العناوين التالية :

مقدمة

موضوع الفساد موضوع يتحاشى الناس ذكره ، ويتلمسون الأعذار لتجنب الخوض فيه ؛ لأنه من الموضوعات الحساسة ، حتى إن **غونار ميردال** ، الاقتصادي الحائز على نوبل ، سمى التهرب من البحث في الفساد « **دبلوماسية البحث العلمي** » . فهناك من يقول بصريح العبارة : لا يمكن عمل أي شيء إزاء الفساد . والفساد استشرى كالسرطان ، فهو في كل مكان من العالم ، وهو موجود عبر التاريخ كله . وإذا كان المتربعون على القمة فاسدين ، وكان النظام بكامله فاسدًا ، فلا أمل يرتجى . وعندما ينتصر في المجتمع من هو مجرد من الحياء ، وعندما يُعجب الناس بالمسيء ، وعندما تنتهي المبادئ ، ولا تعمّ إلا الانتهازية ، وعندما يتسلم المتغطرسون الحكم ، ويصبح كل شيء فاسدًا ، وتسكت الغالبية ، علينا أن نكفّ عن مصارعة طواحين الهواء .

مع ذلك يحاول هذا الكتاب أن يأخذ الجوانب العملية من مشكلة

الفساد مأخذ الجد ، وأن يقدم أدوات تحليلية ، ودراسة حالات فساد محددة ، لاستثارة حماسة الباحثين لمعالجة الموضوع ، وإيجاد حلول خلاقة له .

تعريف الفساد

وضع المصلحة الخاصة فوق المصلحة العامة ، بصورة غير مشروعة .

الفساد منتشر في البلدان الغنية والفقيرة

فهناك فضائح فساد حتى في أوربا ، واليابان ، والولايات المتحدة الأمريكية .

البلدان الفقيرة أقل قدرة على تحمل الفساد

الفساد ينتشر في البلدان الغنية والفقيرة ، ولكن جسد البلدان الفقيرة أضعف من أن يتحمل مستويات الفساد الشائعة فيها .

الفساد منتشر في القطاع العام والخاص

قد يتصور البعض أن الفساد مقصور على الدولة والقطاع العام ، لكن الحقيقة أنه موجود أيضًا في شركات القطاع الخاص ، في سلوك المديرين والعاملين ، وفي تعامل هذه الشركات مع الغير : المستهلكين ، والمصارف ، والضرائب ، والجمارك . وتزداد نسبة الفساد في القطاع الخاص كلما كبر حجم الشركة ، وكلما كان أصحابها مقربين إلى السلطة السياسية ومحميين بها ومدعومين منها .

الفساد منتشر بين الحكام والتجار

الموظفون كبارهم وصغارهم مظنّة الفساد ، إلا من رحم ربك .

وكذلك التجار ، يقول (كانْت) : إن أمة جميع أفرادها من التجار هي أمة جميع أفرادها من المحتالين .

تعليق : لذلك قيل : إن التجّار فجّار إلا ما ندر ، ولذلك كانت مرتبة التاجر الصالح والصدوق مرتبة عالية ، فهو يحشر مع الصدّيقين والأنبياء والشهداء .

منافع الفساد (هل للفساد منافع ؟)

ـ تعود للمفسدين .

ـ الرذائل والمفاسد لا يشترط أن تكون ذات مضارّ محضة ، فقد يعدّ رذيلة ما زاد فيه الضرر على النفع . فالعبرة بالصافي .

مضارّ الفساد

ـ تعود على المجتمع ، ويتحملها الشرفاء ، وتُلحق الأذى بالعدالة والكفاءة والإنتاجية .

ـ الموظفون الفاسدون يطردون الموظفين الصالحين (الفاسد يطرد الصالح ، مثلما أن العملة الرديئة تطرد الجيدة : المقريزي/ غريشام) .

ـ الفساد يلتهم التنمية .

ـ الفساد يؤدي إلى التخلف .

ـ الفساد ينهش في لحم الكثير من البلدان النامية .

ـ الفساد يلتهم الموارد المالية للبلد .

ـ الفساد يشوّه نظام الحوافز والثواب والعقاب .

ـ الفساد يشجع السلوك غير المنتج ، بل الضارّ .

ـ الفساد يؤذي التعليم والصحة والقضاء والأمن والاستقرار .

ـ الفساد يؤدي إلى التضليل وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، كتسمية الرشوة هدية أو إكرامية أو عمولة ، أو تسمية الفساد شطارة أو فهلوة ، أو اعتبار الشخص الفاسد من الرموز أو من ذوي الجاه ، فمن لا يجمع ثروة من عمله فهو غبي ، أو اعتبار قصص الفساد قصص نجاح وبطولة !

ـ الفساد ينتقص من هيبة البلد وزعمائه وعلمائه وشعبه وقيمه ودينه .

ـ الفساد يسيء إلى سمعة البلد في التجارة الدولية والسياحة ، ويحكم على البلد بأنه ذو تصنيف سيئ في التقارير العالمية الصادرة عن **منظمة الشفافية العالمية** وغيرها .

ـ انتشار ثقافة الفساد بدلاً من ثقافة الصلاح .

ـ الفساد يؤدي إلى وقوع الأزمات وانهيار الشركات والمنشآت .

ـ الفساد يؤدي إلى الإفلاس وتراكم الديون .

ـ الفساد يحمي الرذائل والمنكرات : بيوت القمار ، دور الدعارة ، أوكار المخدرات .

ـ لولا الفساد لتقدم البلد .

ـ الفساد يعتم على مكافحته ، فلا تكاد تجد لمكافحة الفساد ذكرًا في الدراسات التنموية والكتب الدراسية والمناهج التعليمية . من الذي يضع البرامج ؟ هل هم الفاسدون ؟

ـ ربما لا يحتاج الناس كثيرًا إلى بيان مضارّ الفساد ، فهم يدركون ذلك بالفطرة والتجربة والمعايشة ، وقد يبلغ استياؤهم منه حدّ الثورة .

دراسة خمس حالات فساد

ـ **الفيلبين** : حالة تطهير ضريبة الدخل من الفساد . نجاح التجربة بواسطة قاض نزيه : القاضي بلانا .

ـ **هونغ كونغ** : حالة تطهير قوة الشرطة من الفساد . إحداث اللجنة المستقلة لمحاربة الفساد .

ـ **سنغافورة** : حالة تطهير الجمارك من الفساد . إحداث مكتب تحري الممارسات الفاسدة .

ـ **كوريا الجنوبية** : مشتريات الجيش الأمريكي . إلغاء رابطة المنافع المتبادلة .

ـ **روريتانيا** : تطهير المؤسسة الوطنية للأغذية . البطاقات التموينية .

من مظاهر الفساد

الرشوة ، الابتزاز ، الاختلاس ، السرقة ، الغصب ، النهب ، التهريب ، التهرب من الضرائب والجمارك والرسوم ، تسوية المخالفات المرورية ، الدجل ، الاحتيال ، التواطؤ ، التبذير ، التزوير (الانتخابات ، الإيصالات) ، المحاباة ، الاستئثار ، الاحتكار ، الظلم ، الغش ، الخداع ، سوء استعمال السلطة ، سوء توزيع الثروة والسلطة ، استغلال النفوذ ، الاستبداد ، طغيان الأقوياء والأثرياء ، التواطؤ أو التحالف بين المال والسلطة ، عجز الفقراء والضعفاء ، سوء تخصيص الموارد ، التفاوت الفاحش في الثروة والدخل والامتيازات (غنى فاحش وفقر مدقع ، ويا ليت الغنى كان مشروعًا !) ، التوزيع حسب القوة وليس حسب الكفاءة والحاجة ، سرقة المال العام والأراضي العامة والمساعدات الدولية ، بيع وشراء المناصب والوظائف ، الأغذية الفاسدة ، اللحوم الفاسدة (هل هي لحوم غنم وبقر ، أم هي لحوم حمير ؟) ، الأسلحة الفاسدة ، الإعلام والصحافة الفاسدة ، الضمائر الفاسدة ، مخالفة الدستور والقوانين واللوائح ، التحكم بتراخيص العمل والاستيراد والتصدير ، التخلف الاقتصادي والثقافي والعلمي ، عرقلة

المعاملات وتأخيرها ، التلاعب بالمستندات والحسابات والمزايدات والمناقصات والمشتريات ، تشويه نظام الحوافز ونظام المكافآت والعقوبات (الثواب والعقاب) ، انتشار المخدرات والجرائم والأمراض ، عدد البطاقات التموينية ضعف عدد السكان . . . هذه هي **الحلقة المفرغة** والمرذولة للفساد ، أو دوامة الفساد ، أو التخلف إن شئت .

الفساد يهدد الناس

ـ التحِقْ بالركب : أي إذا أردت أن تكون فاسدًا فالتحق بالعصابة .

ـ سِرْ بمحاذاة الركب : إذا لم تُرد أن تكون فاسدًا فأنت وشأنك ، لكن إياك والتدخل فيما لا يعنيك .

ـ لا تقفْ أمام الركب : إذا ما حاولت الإبلاغ عن الركب فإن الركب سيلقي بك تحت الأقدام ، وسيصل إليك بطريقة أو بأخرى .

هل يمكن القضاء على الفساد ؟

هناك من يرى أن الفساد لا يمكن القضاء عليه ولا التخفيف منه ، وهناك من يرى أن التخفيف ممكن . وثمة أمثلة عملية في عدة بلدان ، كان من نتائجها التقليل من الفساد ما أمكن ، مع السرعة في الحصول على هذه النتائج .

هل المقصود أن نصل إلى معدل فساد يبلغ الصفر ؟

الفساد موجود ومنتشر ، ومن الممكن محاربته للتخفيف منه ، وقد لا يكون القصد أن نقضي عليه قضاءً مبرمًا ؛ لأن القضاء على الفساد له تكاليف ، ومن ثم يجب الموازنة بين **المنافع والتكاليف** ، أو بين **الأرباح**

والخسائر ، وبناءً على هذا قد يبقى هناك شيء من الفساد لم يتم القضاء عليه . ولا يعني هذا الموافقة على الفساد ، ولا تشجيعه . لكن هناك فرق بين الرغبة النظرية والرغبة العملية . فنحن نرغب في عالم خالٍ من الفساد تمامًا ، ولكن القضاء على الفساد قضاءً تامًا قد يؤدي إلى الإفراط في التكاليف ، حتى تصير التكلفة المدفوعة أعلى من المنفعة المتحققة . وبعبارة أخرى علينا أن نمضي في محاربة الفساد حتى تتساوى **التكلفة الحدية** مع **المنفعة الحدية** ، حسب القانون الاقتصادي المعروف .

قليل من الفساد

يعتقد بعض الغربيين أن القليل من الفساد ينعش الاقتصاد ، وهذا كقول البعض بأن القليل من الخمر ينعش الجسم ! وهو غير مسلّم . طبعًا هناك حالات يضطر فيها الإنسان أحيانًا إلى دفع الرشوة للحصول على حقه ، عندما لا تكون له حيلة في تغيير المنكرات ، عندئذ يكون القابض آثمًا ، والدافع غير آثم ؛ لأنه مكره . ولعل هذا ما عناه هؤلاء الغربيون عندما قالوا بأن الفساد ليس كله شرًا . ويمكن أن نتساءل هنا عما إذا كانت هذه الحالة الاضطرارية تدخل في الفساد أم لا تدخل . لكن يجب بذل العزائم في محاربة الفساد وعدم التوسع في التساهل والحيل .

صعوبة معالجة الفساد عندما تكون الرؤوس الكبيرة فاسدة

إذا كانت القيادة العليا فاسدة فإن معالجة الفساد تزداد صعوبة ؛ لأن **الفساد الصغير** يكون محميًا **بالفساد الكبير** (شبكات فساد مستحكمة) . أما إذا كانت القيادة صالحة نسبيًا فإن من الممكن الحصول على الدعم السياسي لمعالجة الفساد ، بحيث تصبح أيسر وأسرع وأنجع . والوصول إلى الرؤوس الكبيرة ليس سهلاً ، ولكن قد يطمح الزعماء إلى محاربة

الفساد لأجل كسب ثقة الشعوب . والقضاء على رؤوس الفساد والحيتان الكبيرة صعب ، ولكنه أكثر حسمًا . أما الاقتصار على الفساد الصغير فقد لا يكون ناجعًا ، وقد يكون المراد منه مجرد ذرّ الرماد في العيون .

إذا كانت القيادة فاسدة

إذا كان الحاكم مخلصًا ومستقيمًا فإن العاملين الشرفاء هم الذين سيخدمون في حكومته ، وسيلجأ المفسدون إلى أوكارهم . أما إذا لم يكن الحاكم مستقيمًا فإن الأشرار سيسرحون ويمرحون ، وسيأوي الرجال المخلصون إلى معتزلاتهم .

اكتشاف الفساد قبل معالجته

مما يدل على الفساد : إسراف الموظف في الاستهلاك ، لعب القمار ، ارتياد النوادي الليلية ، والبيوتات المترفة ، تراكم الثروة ، عضوية نواد خاصة ، عدم دفع فواتير المطاعم والفنادق (من أين لك هذا ؟ ثروته أكبر من راتبه ، ثراء لا يمكن تفسيره ، مستوى معيشته أعلى من دخله : حياة باذخة مع عجرفة وتكبر) .

أساليب لمعالجة الفساد

ـ **الحوكمة** ، أو **الحكم الجيد** ، ويطبق هذا على الحكومات والشركات والمنشآت .

ـ الشفافية في الحقوق والواجبات والمعاملات والتكاليف .

ـ تقريب الصالحين واستبعاد الفاسدين .

ـ تغيير الاتجاهات والمواقف أمام الفساد : الفضيلة ، لا الطمع ، هي التي يجب أن تقود وتسود .

ـ منع المحسوبية .

ـ رفع مهارة القضاة ، والمحاسبين ، والمراجعين ، والمدققين ، والمراقبين ، والمفتشين .

ـ استخدام البنوك في تحصيل الأموال .

ـ وضع قوانين ومعايير صالحة .

ـ وضع اختبارات لقياس الكفاءة والأمانة والنزاهة .

ـ تصحيح أوضاع الموظفين والعاملين ، وسد حاجاتهم الأساسية ، وحمايتهم من الفقر ، لسدّ الذرائع الموصلة إلى الفساد .

ـ استخدام المكافآت المعنوية غير المادية : نقل ، تدريب ، سفر ، ثناء ، رسائل شكر ، تكريم ، دروع .

ـ التنظيم العلمي للعمل والقضاء على الفوضى والتسيب .

ـ تنظيم العمل بحيث لا يستطيع فرد واحد أن يسيطر على كل مراحل النشاط أو المعاملة : الحد من القدرة الواسعة على التصرف .

ـ نشر الدين الصحيح والأخلاق والفضائل الحميدة ومحاربة الرذائل .

ـ التفتيش المفاجئ .

ـ صندوق للشكاوى .

ـ خطوط هاتفية ساخنة .

ـ الإبلاغ عن الفاسدين ، مع ضمان عدم كشف أسماء المبلغين .

ـ بث الخوف والرعب في قلوب الفاسدين .

ـ رفع الثمن الأخلاقي لمن تسوّل له نفسه أن يكون فاسدًا .

ـ مداهمة اجتماعات التواطؤ وأخذ صور للمشاركين فيها .

ـ وضع غبار مسحوق الفوسفور الوميض على العطاءات (في المزايدات والمناقصات) ، واستخدام الأشعة فوق الحمراء ، لمنع إضافة صفحات أخرى على العطاءات .

ـ إدخال **مقررات دراسية** لمكافحة الفساد في المدارس والجامعات .

ـ مسرحيات وأفلام ومسلسلات تعزز محاربة الفساد ، ولا تثبطها (مثل المسلسل السوري ١٩٩٣م : **يوميات مدير عام** تأليف زياد الريس وإخراج هشام شربتجي وبطولة أيمن زيدان ، وهو مسلسل ناجح وشيق ولكن اختيار خاتمة محبطة مدعاة للتأمل) .

ـ نقل عبء إقامة البرهان إلى المتهم : إثبات البراءة بدلاً من إثبات الاتهام . اعتبار كل موظف فاسدًا أو مذنبًا حتى تثبت براءته . وهذا خلاف الأصل ، ولكن قد يلجأ إليه عند تفشي الفساد من القمة إلى القاعدة .

ـ التشهير بالفاسدين والمفسدين في الإعلام والصحف والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .

ـ تغيير عمل الموظف بصورة دورية .

ـ كل اثنين يعملان معًا : للحد من الاتصالات المنفردة .

ـ تشكيل لجان لتقييم الأداء .

ـ استخبارات .

ـ إنذار مبكر .

ـ مراقبة .

ـ مساءلة .

ـ عقوبة رادعة : خصم ، نقل ، غرامة ، حرمان من الترقية ، سجن ، طرد .

ـ تحديد ثروة المسؤول (الرئيس ، الوزير) عند الدخول في المنصب ، وعند الخروج منه .

ـ توسيع دائرة النظر من المسؤول إلى زوجاته وخليلاته وأولاده وأقربائه وأصدقائه . فقد تسجل الثروات النقدية والعقارية باسم هؤلاء لأجل التمويه .

ـ تضييق فرص الفساد .

ـ يمكن تطبيق هذه الإجراءات والأساليب بصورة مفاجئة وغير مستمرة لتخفيض التكاليف .

وصايا إستراتيجيات التنفيذ

ـ ميّزْ بين القضايا الظاهرة والقضايا الإستراتيجية .

ـ اجمع التأييد السياسي .

ـ احمِل الجمهور على الوقوف وراء مكافحة الفساد .

ـ حطمْ ثقافة الفساد في مؤسستك .

ـ تحركْ بطريقة إيجابية وبطريقة سلبية .

ـ اربطْ بين إجراءات مكافحة الفساد وبين رسالة مؤسستك .

ـ فتشْ عن الإنسان النظيف وقدمْ له الدعم والمساندة .

ـ اطرد الفساد .

ـ ألا فليسقط الفاسدون والمفسدون أيًا كانوا وأينما كانوا .

خاتمة

ـ يقول المؤلف : هناك فراغ في أدبيات الفساد ، ويتمثل هذا الفراغ في أنه لم يجر التأكيد على الفساد ، وأنه عندما كانت تجري دراسته فقد

كان يتم ذلك في سياق عام أو سياق أخلاقي .

ـ لابد أن هناك خطأ ما في المجتمعات التي يسيطر عليها الفساد .

ـ لابد أن هناك خطأ ما عندما تتعايش الثروات الكبيرة مع القذارة والفساد السياسي .

ـ عندما تُسحق حقوق الإنسان .

ـ عندما تتنكر التفرقة العنصرية لآدميتنا .

ـ لكن علينا ألا نستسلم لإغراءات الهروب من المشكلات الصعبة ، بحجة أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان ، أو بحجة أننا لا نستطيع فعل شيء .

ـ إني أرى أن صانعي السياسات والمواطنين ليسوا عاجزين عن العمل . فهناك أشياء يمكننا عملها حتى بالنسبة لأصعب المشكلات ، لاسيما في البلدان الأكثر فقرًا .

الترجمة

الترجمة جيدة ومفهومة ، لكن المراجعة شكلية كما هي الحال في معظم المراجعات . فهناك بعض العبارات التي كان من الممكن أن تكون أفضل ، مثل التكلفة الهامشية والمنفعة الهامشية ، التي عدلتُ عنها في هذه المراجعة إلى التكلفة الحدية والمنفعة الحدية . وهناك أخطاء لغوية ، مثل :

ـ الفساد المضطرد ، والصواب : المطرد .

ـ الأربع سنوات ، والصواب : السنوات الأربع .

ـ مفتشوا المباني ، والصواب : مفتشو ، بدون ألف .

ـ المشتروات ، والصواب : المشتريات .

ـ المكافئات ، والصواب : المكافآت .

ـ التجزأة ، والصواب : التجزئة .

ـ سوى اثنان وثلاثون ، والصواب : اثنين وثلاثين .

ـ إحدى الأعراف ، والصواب : أحد الأعراف .

ـ نفترض أن أمام الوكيلة فرصتان ، والصواب : فرصتين .

ـ من الواضح أنهم يميلوا ، والصواب : يميلون .

ـ خضع جميع المعينون ، والصواب : المعينين .

ـ وصلتْ إلى مستوى حرجًا أو مرضيًا ، والصواب : حرج أو مرضي .

ـ رسى العطاء ، والصواب : رسا .

ـ الخطة هنا هي جعل الكوريون أنفسهم ، والصواب : الكوريين .

ـ مورّد محتكر يساوم مشترٍ ، والصواب : مشتريًا .

ـ ليس لدى فلان وزملاؤه ، والصواب : وزملائه .

ـ كانت مبتلية بالفساد ، والصواب : مبتلاة .

ـ حجم القمح والسكر اللذان ، والصواب : اللذين .

ـ ٦٥ مليون ، والصواب : مليونًا .

ـ لن يجر الإبلاغ عنها ، والصواب : يجري .

ـ تجعل الباحثون يجفلون ، والصواب : الباحثين .

ـ إذا كان الفساد ضار أم نافع ، والصواب : ضارًا أم نافعًا .

ـ معظم صانعو السياسات ، والصواب : صانعي .

ـ أن تكون لديك نقودًا ، والصواب : نقود .

والحبل على الجرار يا **فاروق جرّار** .

وكان من المستحسن وضع **قائمة مصطلحات** في آخر الترجمة . فمصطلح مشكلة الرئيس والوكيل لعل صوابه : مشكلة الأصيل والوكيل . وإضافة هذه القائمة لا ريب أنها من مصلحة القارئ العارف باللغة الأجنبية ، لكنها قد لا تكون من مصلحة المترجم والمراجع ؛ لأنها قد تكشف عن (الفساد) الواقع في الترجمة والمراجعة ، وقد تكون ضربًا من سرّ المهنة لدى المترجم .

* * *

متلازمات الفساد
الثروة والسلطة والديمقراطية

هذا كتاب لمايكل جونستون Michael Johnston ، ترجمة نايف الياسين ، ونشر مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ، والنسخة الأجنبية منشورة في ٢٠٠٥م بعنوان Syndromes of Corruption ، عدد صفحات الترجمة العربية ٤١٧ صفحة .

مايكل جونستون هو أستاذ كرسي تشارلز دانا للعلوم السياسية ، ورئيس قسم العلوم الاجتماعية في جامعة كولغيت ، وزميل في الصندوق القومي للعلوم الإنسانية في معهد الدراسات المتقدمة في جامعة برنستون في نيوجرسي .

يتضمن الكتاب ثمانية فصول :

ـ الثروة والسلطة والفساد .

ـ البيئة الدولية : السلطة والإجماع والسياسات .

ـ المشاركة والمؤسسات ومتلازمات الفساد .

ـ أسواق النفوذ : نفوذ للإيجار ، وقرارات للبيع .

ـ كارتيلات النخبة : كيف تشتري الأصدقاء وتحكم الناس ؟

ـ الأوليغاركات والعائلات : السلطة والإفلات من العقاب ومخاطر حكم اللصوص .

ـ من التحليل إلى الإصلاح .

صورة الغلاف

يظهر فيها ستة رجال كل واحد منهم يضع يده في جيب الآخر ، وهي مستمدة من سلسلة (أنا والفساد) لرسام الكاريكاتير السياسي رشيد شريف من أذربيجان ، بعد الحصول على إذن الفنان وفرع المنظمة الدولية للشفافية في أذربيجان .

شكر الزوجة والأبناء

« كائنة ما كانت مزايا هذا الكتاب ومثالبه ، ما كان له أن يُكتب لولا القدر الكبير من الدعم والمشورة . لقد تحملتْ زوجتي (بيتسي) وابناي (مايكل وباتريك) من الحديث عن الفساد أكثر مما يمكن أن يتحمله أي شخص آخر خلال حياته كلها » !

فكرة الكتاب

« يشكل الفساد تهديدًا للديمقراطية والتنمية الاقتصادية ، في العديد من المجتمعات . وهو ينشأ من الطرق التي يسعى الناس من خلالها للحصول على الثروة والسلطة » .

هل الفساد يعني الرشوة فقط ؟

في معظم الأحيان يتم اختزال الفساد إلى مرادف للرشوة ، والعمولات غير المشروعة ، وتشحيم (أو تزييت) العجلات . والحقيقة أنه أوسع من ذلك بكثير ، كالابتزاز والنهب ، والاختلاس والسرقة ، والواسطة والمحسوبية ، والاحتيال والغش ، والظلم ، والتزوير ، والتواطؤ ، والتهرب من الضرائب والجمارك وسداد القروض ، واستغلال النفوذ ، وسوء استخدام السلطة ، وبيع وشراء السلطات والوظائف ، وسرقة

الموارد العامة لمكافأة الأتباع وشراء التأييد والولاء ، وشراء النفوذ والذمم والضمائر ، وعدم الفصل بين العام والخاص ، والأغذية الفاسدة ، والأسلحة الفاسدة ، وانهيار الأبنية والجسور والأنفاق ، وعقد الصفقات السرية ، وجداول رواتب بأسماء وهمية ، وتسجيل الأصول العقارية والمالية بأسماء الأبناء والأحفاد والزوجات والأقارب ، والتلاعب بالميزانيات والحسابات والقوانين لحماية الفاسدين ، وفقدان الشفافية والإفصاح ، وعدم المحاسبة والمساءلة .

هل للفساد فوائد ؟

ـ ذهب بعض رجال الاقتصاد والسياسة في الغرب إلى أن الفساد قد يكون له فوائد ، بحيث يمكن أن تستعمله النخب للحصول على الدعم السياسي ، ويمكن أن يستعمله رواد الأعمال (المنظمون) والمستثمرون لتجاوز الاختناقات البيرقراطية ، وشراء القدرة على التنبؤ .

ـ غير أن البحوث الحديثة جعلت من الصعب الاعتقاد بأن ثمة شيئًا جيدًا في الفساد ، ولاسيما على المدى البعيد .

ـ « كان السياسيون المحليون في (باليرمو) يوزعون فردة حذاء لكل ناخب قبل الانتخابات ، والفردة الثانية بعد الانتخابات إذا ثبت لهم أن أوراق الاقتراع كانت كما توقعوا » .

متلازمات الفساد

ـ أسواق النفوذ : الولايات المتحدة ، اليابان ، ألمانيا .

ـ كارتيلات النخبة : إيطاليا ، كوريا ، بوتسوانا .

ـ حكم الأوليغاركات والعائلات : روسيا ، الفيلبين ، المكسيك .

ـ المسؤولون الحكوميون : الصين ، كينيا ، أندونيسيا .

كل مجموعة من هذه البلدان تتميز بخصائص فساد محددة ومشتركة فيما بينها .

انتشار الفساد

قد ترتفع معدلات الفساد ، وينتشر الفساد الكبير والصغير إلى أن يصبح الفساد هو القاعدة ، بعد أن كان هو الاستثناء . وعندئذ يصبح فسادًا منهجيًا منظمًا ومستحكمًا ومتأصلاً ومتجذرًا ، بحيث يصير أقوى من النظام الحاكم ، بافتراض أن هذا النظام يريد فعلاً أن يحارب الفساد ، ويستطيع ذلك .

من الذي يحكم ؟

الحكومة أم الجيش أم اللصوص وكبار تجار المخدرات ؟

آثار الفساد (تكاليف الفساد)

ـ يعود بالفائدة على حفنة قليلة من الناس ، على حساب الأكثرية .

ـ يؤخر ويشوه التنمية الاقتصادية . والفساد الذي يصعب التنبؤ به هو أخطر أنواع الفساد ضررًا على التنمية .

ـ يكافئ عدم الكفاءة .

ـ يشوه الحوافز .

ـ يقضي على المنافسة .

ـ يؤدي إلى الاحتكار والاستئثار واقتناص المعلومات والاستيلاء على الفرص والعقود والوكالات والامتيازات وقنوات الارتقاء الاجتماعي والتحكم بالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات ، وخلق إقطاعيات وإمبراطوريات اقتصادية وتجارية .

ـ الهيمنة على الاقتصاد والثروة النفطية والنظام المالي والمصرفي وعمليات الاستيراد والتصدير وتعيين الموظفين وعزلهم وسائر شؤون الحياة .

ـ يؤدي إلى سرقة أموال التحرير الاقتصادي والخصخصة .

ـ هدر الموارد ، والإسراف ، والترف ، والتبذير ، والبذخ في الطعام والشراب ، والولائم ، والمنازل والقصور ، والمنتجعات والألبسة ، والسيارات والطائرات .

ـ يؤدي إلى مقاومة الإصلاح الإداري والمالي والمحاسبي والحوكمة (الحكم الرشيد) .

ـ خدمة الأجندات الشخصية للقادة .

ـ قوانين معقدة وغامضة .

ـ نهب الاقتصاد .

ـ انتشار الأسواق السوداء .

ـ فقدان المواد والسلع وارتفاع أسعارها .

ـ الثراء غير المشروع .

ـ يحصل مديرو الشركات على تعويضات كبيرة جدًا لا تبررها كفاءتهم ، وهذا اليوم منتشر في البلدان الغنية والفقيرة على السواء .

ـ تخريب البيئة والمناخ الملائم للنهضة والتقدم .

ـ انتشار الكسل والترهل واللامبالاة بين العاملين .

ـ انتهاك العدالة والحقوق الأساسية والإجراءات القانونية .

ـ تيسير الحياة على الفاسدين ، وتعسيرها على الصالحين ومخالفيهم في الرأي .

ـ تحويل الموارد عن مقاصدها الأصلية .

ـ إضعاف التعليم والصحة والقضاء .

ـ انتشار الأمراض النفسية والبدنية والأوبئة ، وحالات الانتحار والموت المفاجئ ، وارتفاع معدل الوفيات ، وانخفاض متوسط العمر المتوقع عند الولادة .

ـ يضر بالدِّين والخلق والقيم .

ـ إفراغ الديمقراطية من مضمونها ، عن طريق المال السياسي ، وتزوير الانتخابات ، وتمويل الحملات الانتخابية ، وشراء الأصوات ، وإضعاف المعارضة وجعلها صورية وضربًا من ضروب التهريج السياسي . وإضعاف منظمات المجتمع المدني . والنتيجة هي هيمنة الحزب الواحد : الحزب الحاكم وزبانيته .

ـ يرتبط غالبًا بالعنف .

ـ انعدام الأمن ، وانتشار الجرائم والمجرمين والإرهاب والنهب والتفجير والقتل والاغتيال ، والاتجار بالبشر والممنوعات ، ونشر بيوت الدعارة والقمار وأوكار المخدرات .

ـ تصبح المافيات هي أداة تنفيذ العقود .

ـ غسل أو تبييض الأموال .

ـ يحكم الناسَ أراذلُهم وأشدهم جهلاً وبلطجةً .

ـ قد يتواطأ الفاسدون والمجرمون مع قوى الشرطة والجيش وكبار المسؤولين والتجار ؛ لتقاسم الغنائم والاعتداء على حقوق الملكية واغتصاب الأراضي والعقارات والأموال العامة والخاصة والأوقاف وأموال المساعدات والتبرعات الخيرية .

ـ إرهاب الناس وتقييد حريتهم في الرأي والنقد والمحاسبة ، ونشر الأحكام العرفية .

ـ قد يكون هناك عدد أكبر من المسؤولين الذين تجب رشوتهم ، وربما لا يكونون قادرين على تقديم المقابل المطلوب منهم .

ـ السيطرة على الإعلام وتوجيهه لخدمة الفساد والفاسدين والمفسدين .

ـ انتشار الفقر والقهر والامتعاض والسخط الاجتماعي : إما أن تدفع أو لا تمرّ .

ـ الأغنياء أكثر غنى ، والفقراء أكثر فقرًا ، والقضاء على الطبقة المتوسطة .

ـ زيادة تكاليف الصفقات ، وزيادة المخاطر وعدم التأكد ، والمنازعات والتوترات ، والاضطرابات وكثرة الشكاوى في المجتمع .

ـ إيجاد طبقة ثرية متسلطة من الزعماء ومحاسيبهم وعوائلهم وحواشيهم ، يفلتون من المحاسبة والمساءلة والعقاب ، ويعيقون عمليات التحقيق والمقاضاة بالتأخير وتأجيل المحاكمات وقتل القضاة والشهود ، أو الحفظ أو الإعفاء ، دون أي رادع أو خوف من العقوبة .

ـ الرد على (الفساد بالفساد) .

ـ الفساد ينمو بسرعة .

ـ إشاعة الجشع والكذب والتضليل ، والخداع في البيانات والإحصائيات والأرقام والخطط والبرامج .

ـ انتشار الفضائح المالية والجنسية .

ـ انتماء المسؤولين إلى الأحزاب والجماعات والمنظمات السرية المشبوهة ، كالمحافل الماسونية وما شابهها .

ـ التنازل لصالح القوى الكبرى والشركات الاحتكارية والاستسلام لشروطها وطلباتها ، وربما يلبى طلبها بدون أن تطلب ، وتعطى أكثر مما تريد وتتوقع .

ـ قد يتم تهريب الثروات والعملات إلى الخارج ، طلبًا للحماية والمزيد من التكسب والتربّح .

ـ هجرة العقول وهروب رؤوس الأموال .

ـ إضعاف سيطرة الدولة وهيبتها أمام الشعب وأمام البلدان الأخرى .

ـ الحرص على البقاء في السلطة ، من أجل الثروة والاحتماء من المحاسبة والافتضاح ، ولو أدى ذلك إلى معارك دامية ووصول الدم إلى الركب . فمن جرّب السلطة وذاق طعمها فلن يتخلى عنها بسهولة ، وصاحبها سيكون ذاهلاً عن كل المخاطر العالية المرتبطة بها ! وسيزعم الزعيم أن لا أحد يستطيع أن يخلفه في الحكم ، بعد أن تمرّس وتمترس وافترس .

ـ الأزمات والإفلاس ، والانهيار الكامل ، وإشعال الحروب الأهلية حتى تصير البلد لقمة سائغة للاحتلال من قبل الأعداء .

بصيص الأمل

كوريا حاربت الفساد وحققت تقدمًا هائلاً خلال عامين فقط !

تعليق

ـ الفساد هو التخلف .

ـ القضاء على الفساد هو الطريق إلى التقدم السريع والفعال .

ـ مع الفساد ، لا يحتاج الموظفون إلى معرفة المصالح العامة وطرق التوصل إليها ، كل ما يحتاجون إليه هو معرفة مصالحهم الخاصة ! فإذا وجدتهم منهمكين بالعمل والسفر والاجتماعات فاعلم أنهم منهمكون فيما ينفعهم خاصة ، لا فيما ينفع الأمة عامة . ومن ثم فهم لا يحتاجون إلى علم وخبرة .

ـ الحكام هل يجيدون الحكم أم يجيدون ملء الجيوب ؟

ـ هل السلطة في خدمة الشعب ، كما يُعلن في الشعارات واليافطات ، أم هي في خدمة المصالح الخاصة ؟

المراجع

١٨ صفحة .

الترجمة

جيدة وواضحة ، لكن هناك بعض الأخطاء اللغوية ، منها :

ـ لا تختلف عن بعضها ، والصواب : لا يختلف بعضها عن بعض . وهذا خطأ متكرر كثيرًا .

ـ كلا الإستراتيجيتين ، والصواب : كلتا . وهو خطأ متكرر .

ـ يكون جزءًا كبيرًا غير منظم ، والصواب : جزءٌ كبير .

ـ هذا المؤشر بالكاد يقيس ، والصواب : لا يكاد يقيس . وهو خطأ متكرر .

ـ المواقف اتجاه السلطة ، والصواب : تجاه ، أو أمام .

ـ الرحلة اتجاه الهدف ، والصواب : باتجاه .

ـ ثلاث مئة دائرة ، والصواب : ثلاثمئة .

ـ تسيطر على الحكومات (. . .) وجزءًا كبيرًا من المجتمع المدني ، والصواب : وجزءٍ كبير .

ـ يعتبر النفوذ سياسي ، والصواب : سياسيًا .

ـ كان الأوليغاركات مستقرون ومتعاونون ، والصواب : مستقرين ومتعاونين .

ـ تورط عددًا من أفراد أسرته ، والصواب : عدد .

ـ يتفاقمان بشكل مضطرد ، والصواب : مطرد .

ـ انخرط فلان وعائلته وعملاءه من السياسيين في عدد كبير من العمليات غير المشروعة ، والصواب : وعملاؤه .

ـ قد يكونوا ، والصواب : يكونون .

ـ من خلال تلقيها فرص تفضيلية ، والصواب : فرصًا .

ـ كل حالة منها على حدا ، والصواب : حدة .

* * *

الإفلاس الاحتيالي

كثيرًا ما نسمع اليوم عن إفلاس الشركات في ظروف الأزمة الاقتصادية العالمية ، أو إفلاس الأفراد الذين **جمعوا الأموال** من الناس في هذا البلد أو ذاك ، ثم أفلسوا . فما هو الإفلاس ؟ وهل هناك إفلاس احتيالي متعمد ؟

رجعت إلى عدة كتب قانونية في الإفلاس ، وهي متشابهة ، ولكني اعتمدت بصورة خاصة على كتاب إلياس ناصيف : الكامل في قانون التجارة ، الجزء الرابع . أما ما تعلق بالشريعة الإسلامية فهو غير منقول عن الكتب القانونية ، بل عن الكتب الفقهية .

الإفلاس

توقف التاجر عن دفع الديون التي عليه في استحقاقاتها (الديون الحالّة) . وعرّفه فقهاء **الشريعة الإسلامية** بأنه زيادة ديون الشخص على أمواله (غلبة الدين على المال) .

الصلح الواقي من الإفلاس

هو طلب يقدمه تاجر مدين مشرف على الإفلاس ، يقدمه إلى القاضي لأجل الصلح مع دائنيه ومنع انهيار مشروعه التجاري . فهذا الصلح يهدف إلى تحقيق مصلحة التاجر المدين ، ومصلحة الدائنين ، ومصلحة المجتمع .

التأجيل إلى ميسرة

قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] . وفي قراءة : ﴿وإن كان ذا عسرة﴾ ، ﴿وأن تصّدّقوا﴾ . وهذا يعني إعادة جدولة الديون ، أو التنازل عنها بعضها أو كلها .

مصرف الغارمين

وهو المصرف السادس من مصارف الزكاة ، والغارمون هم المدينون ، ومصرف الغارمين يسمح بإعانة المدينين الشرفاء ، لحمايتهم من الإفلاس الذي قد يجرّ سلسلة من الإفلاسات المتتالية في المجتمع .

طلب إعلان الإفلاس

يقدمه التاجر المدين أو دائنوه إلى القاضي .

طلب إعلان إفلاس التاجر بعد وفاته

وذلك عندما يكون للورثة مصلحة في إعلان إفلاس مورثهم ، من أجل إبطال تصرفاته المبنية على الغش ، والضارة بحقوقهم ، أو من أجل الحصول على الصلح ، رغبة في التخلص من سداد بعض الديون .

التوقف عن الدفع

هو عجز التاجر ، أو امتناعه ، عن دفع الديون التي عليه في مواعيد استحقاقها . وهو يقع نتيجة الإعسار ، أو عدم التمكن من الدفع عمليًا ، كما لو كانت له عقارات يصعب عليه تنضيضها ، أي : تسييلها ، أي : بيعها وتحويلها إلى نقود ، أو كما لو كانت له ذمم مدينة لا يستطيع تحصيلها ، لوفاء ذممه الدائنة .

فترة الريبة

ـ إبطال تصرفات المدين في فترة الريبة ، وهي الفترة بين تاريخ التوقف عن الدفع وتاريخ صدور حكم الإفلاس .

ـ قد يسارع المدين في هذه الفترة إلى إيفاء بعض الديون ، ولو قبل الاستحقاق ، أو إلى إنشاء ضمانات لأصحاب هذه الديون . وقد يخفي أمواله ، أو يهب أقاربه أو أصدقاءه هبات صورية ، أو يبيع أمواله بيعًا صوريًا . وقد يلجأ إلى التبذير ، أو المضاربة والمقامرة . كل ذلك ؛ لأنه يعلم أن أمواله لن تستقر في يديه ، بل في أيدي الغير ، في أيدي الدائنين .

آثار الإفلاس

ـ بالنسبة للمدين : تقييد حريته (**الحجْر** بالتعبير الفقهي ، أو غلّ اليد بالتعبير القانوني) ، إشهار الإفلاس ، تقديم معونة تتعلق بحاجاته الأساسية (حوائجه الأصلية) له ولأفراد عائلته ، إسقاط حقوقه السياسية والمهنية .

ـ بالنسبة للدائنين : سقوط آجال الديون ، وقف سريان الفوائد .

الدائنون أصحاب الامتياز

ـ امتيازات الخزينة العامة .

ـ امتيازات الأجور المستحقة .

ـ امتيازات النفقة لأقارب المفلس الذين تقع عليه نفقتهم .

ـ امتيازات الدائنين المرتهنين .

إجراءات الإفلاس

ـ تعيين وكيل التفليسة .

ـ تحديد أموال المفلس : الجرد .

ـ إقفال الدفاتر وإعداد الميزانية .

ـ تحصيل الذمم المدينة .

ـ بيع العقارات والمنقولات (في الشريعة هناك ترتيب : البدء ببيع الرهون ، ثم ما يسرع إليه الفساد ، ثم الحيوانات ؛ لأنها معرضة للتلف ومحتاجة إلى مؤنة ، ولا تباع العقارات إلا أخيرًا) .

ـ حصر الذمم الدائنة .

ـ توزيع النقود المحصلة على الدائنين ، حسب دين كل منهم (قسمة غرماء ، حسب عبارة الفقه الإسلامي) .

أنواع الإفلاس

ـ الإفلاس العادي .

ـ الإفلاس التقصيري .

ـ الإفلاس الاحتيالي .

الإفلاس الاحتيالي

ـ إخفاء الدفاتر : أو تمزيقها أو حرقها أو التلاعب فيها بالمحو والشطب والتزوير ، كل ذلك بقصد إخفاء حقيقة الوضع المالي للمفلس.

ـ اختلاس المال أو تبديده أو إخفاؤه أو تهريبه ، أو هبته ، أو بيعه بثمن زهيد ، أو بثمن صوري .

ـ الادعاء بذمم دائنة غير صحيحة .

عقوبة الإفلاس الاحتيالي

ـ السجن مع الأشغال الشاقة ، لمدة ٣ـ ٧ سنوات ، في القانون اللبناني .

ـ استرداد الأموال المختلسة .

ـ المطالبة بالتعويض عن العطل والضرر .

الإفلاس التقصيري

ـ إنفاق مبالغ باهظة في عمليات القمار ، أو المضاربات الوهمية على النقود أو السلع .

ـ إنفاق مبالغ على شخصه أو أسرته زائدة على الحد .

ـ إيفاء أحد الدائنين للإضرار ببقية الدائنين .

عقوبة الإفلاس التقصيري

ـ السجن من شهر إلى سنة ، في القانون اللبناني .

ملاحظة

ـ يلاحظ وجود تداخل بين الإفلاس الاحتيالي والإفلاس التقصيري ، قد يؤدي إلى التلاعب بالحكم لأجل زيادة العقوبة أو تخفيفها .

ـ لم أجد في كتب الفقه الإسلامي مصطلح الإفلاس الاحتيالي والإفلاس التقصيري ، لكن مصطلح الإفلاس ومصطلح الإعسار موجودان ، وكذلك مفهوم التقصير والإهمال ، والتعدي والاحتيال . ويتحدث الفقهاء عن المدين المفلس الذي يخفي ماله عن الدائن . ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : « **مطل الغني ظلم يحلّ عرضه وعقوبته** » .

جرائم الإفلاس

ـ لا تقتصر على المفلس ، كما في حالة الإفلاس الاحتيالي والتقصيري ، بل تمتد إلى دائنيه وأقاربه وغيرهم .

ـ مثل : الاختلاس ، والإخفاء ، والديون الوهمية .

ـ عقوبة هذه الجرائم : مثل عقوبة الإفلاس الاحتيالي ، ما لم تتوافر أسباب مخففة .

رد الاعتبار

ـ يقوم الإفلاس على أساس فكرة معاقبة المدين الذي لا يفي بتعهداته تجاه دائنيه ، وكانت عقوبة الإفلاس في القديم قد وصلت إلى حد الاسترقاق بل الإعدام . وتنص بعض القوانين الحديثة على إعادة الاعتبار للمفلس بعد انقضاء ١٠ سنوات على إعلان إفلاسه ، ما لم يكن محكومًا عليه بالإفلاس الاحتيالي أو التقصيري .

ـ وحتى في حالة الإفلاس الاحتيالي أو التقصيري يمكن رد الاعتبار بعد قضاء فترة السجن ، وردّ الديون إلى الدائنين ، أو تنازل الدائنين عنها .

رد الاعتبار للمفلس بعد وفاته

وهذا له أثر أدبي بالنسبة لورثة المفلس وأقاربه وأصدقائه . ويمكن أن يطلب رد الاعتبار كل من له مصلحة فيه .

مدى صلاحية قوانين الإفلاس

يقول د . **وجيه ناظر** المدير العام لوزارة العدل في لبنان ، في تقديمه لكتاب إلياس ناصيف ، بعد أن أثنى على الكاتب والكتاب : حبذا لو

أعطانا المؤلف بالنتيجة رأيه في مدى نجاح هذا النظام ، وهل يجب التفكير في تغييره ، أم يكتفى فقط بتطويره بشكل يمنع على التاجر المشرف على الإفلاس تهريب أمواله ، أو إخفاء وضعه المالي السيئ عن التجار والمحاكم . فمعظم التفليسات التي حصلت في لبنان لم تعطِ بعد التصفية أكثر من ١٠ ٪ أو ١٥ ٪ من ديون الدائنين ، إلا ما ندر .

كما أن الإفلاس بعد أن كان **عارًا** على المفلس ، أصبح وكأنه صار أمرًا طبيعيًا بالنسبة إليه ، بل قد يعمد أكثر المفلسين إلى السعي **وراء الإفلاس** لهضم حقوق الدائنين ، أو للتخلص من الديون المتوجبة عليه . وقد يكون ذلك ناتجًا عن سوء تطبيق قواعد نظام الإفلاس ، أو عن نقص في هذا النظام ، يمكن التجار من النفاذ منها لتعطيل الغاية المرجوة منه .

وهناك بعض ملفات الإفلاس لا تزال مفتوحة في المحاكم منذ أكثر من ٣٠ سنة ، إذ توفي المفلسون والدائنون ، وضاعت حقوق الدائنين الأحياء ، أو أصبحت على الأقل في حكم الضائعة ، بعد أن هبطت القوة الشرائية للنقود ، حتى أصبح الدائن غير راغب في متابعة أعمال التفليسة !

ونحن نرى في الختام أن **نظام الإفلاس قد صار مشرفًا على الإفلاس !**

هذا الموضوع يصلح رسالة ماجستير أو دكتوراه

لاسيما في ظروف الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية ، وحالة شركات **توظيف الأموال** ، أو تجار توظيف الأموال . ويمكن التساؤل عن النظم القانونية الوضعية : هل **القانون والقضاء والمحاماة** ، في أوضاعها الحالية ، تخدم التجار المجرمين (العصابات والمافيات المحلية والعالمية) أم التجار الشرفاء ؟ من يضع القوانين واللوائح ؟ هل توضع هذه القوانين واللوائح لخدمة الناس أم لخدمة الشركات الاحتكارية وتجار الفساد والاحتيال والتلاعب ؟ هل يعاقبون هؤلاء المحتالون ، أم يفلتون

من العقاب من الأصل ، أو بعد فترة قصيرة ، **ليلتحقوا بالأموال التي سرقوها وهرّبوها** ؟ هل يتم هروبهم أو تهريبهم بالتواطؤ مع ذوي النفوذ ، في مقابل حصة من الغنيمة ؟

لاشك أن هذه النظم : القانون ، والقضاء ، والمحاماة ، بحاجة إلى **إصلاح** سريع ، لتحقيق العدالة والنزاهة والكفاءة والسرعة وخفض التكلفة ومحاربة الرشوة والفساد وتمطيط الإجراءات ، حتى لا يفلت الجاني ، ويمل المجني عليه . فهي صالحة في الغرب الرأسمالي ، وانتقلت إلينا كما هي لتحقيق مآرب الغرب . فالجرائم عندنا مقتبسة ، والمحاكم مقتبسة . وللأسف هناك حالات بسيطة غير معقدة وظاهرة غير غامضة ، تحال إلى القضاء ، الذي يتأخر في الحكم إلى حد تنفير أصحاب الحقوق ، وهضم حقوقهم ، والنفور من القضاء والقضاة والمحامين ، حتى صاروا يتساءلون : هل تنتقل القضايا من القصور (قصور العدل) إلى القبور ؟ هل كان **القضاء البدائي** أحسن حالاً من هذا القضاء الفخم والمعقد ؟

* * *

الاحتيال المالي

هذا كتاب للدكتور **عدنان عابدين** ، وهو سوري مولود في دمشق ، ولعله يحمل الجنسية الأمريكية ، وهو أستاذ المحاسبة في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ، ومحاسب قانوني ، وخبير في المحاسبة وإدارة الأعمال لعدة شركات . حصل على شهادة الثانوية التجارية من دمشق ، والبكالوريوس في المحاسبة وإدارة الأعمال ، والماجستير في المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة جنوب ولاية المسيسبي ، والدكتوراه في المحاسبة من هذه الجامعة . عمل مدرسًا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران بالمملكة العربية السعودية . لم يتيسر لي معرفة تاريخ ميلاده ولا تواريخ سائر الوقائع المذكورة في هذه السيرة المختصرة . له العديد من البحوث والكتب ، من كتبه :

ـ معجم المصطلحات المحاسبية والمالية (إنكليزي عربي) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨١م ، ٢٢٦ صفحة + مسرد عربي إنكليزي ٤٠ صفحة .

ـ محاسبة الرواتب والأجور في المملكة العربية السعودية ، بالاشتراك مع جون مريديث ، الدار السعودية ، جدة ، ١٩٨٦م .

ـ الاحتيال المالي : أسبابه وطرق اكتشافه وسبل منعه ، مكتبة لبنان ، ٢٠٠٨م ، ٢٤٠ صفحة .

يتألف الكتاب الأخير من الفصول التالية :

ـ **الفصل الأول** : الاحتيال المالي ، ملابساته وأنواعه .

ـ **الفصل الثاني** : صفات المحتالين وأسباب الاحتيال .

ـ **الفصل الثالث** : منع الاحتيال المالي .

ـ **الفصل الرابع** : الكشف عن عمليات الاحتيال .

ـ **الفصل الخامس** : الطرق الحديثة في محاربة الاحتيال المالي .

ـ **الفصل السادس** : التحقيق في جرائم السرقة والتكتم والإخفاء .

ـ **الفصل السابع** : طرق التحقيق في عمليات الاحتيال .

ـ **الفصل الثامن** : طرق جمع المعلومات عن تحويل أموال الاحتيالات .

سأعرض الكتاب تحت الفقرات التالية :

أهمية الموضوع

يعدّ موضوع الاحتيال المالي من الموضوعات المهمة والشيقة في إدارة الأعمال والمحاسبة والتدقيق والتفتيش والرقابة ؛ لأنه يعتمد على الخبرة العلمية والعملية في مجالات عديدة ، مثل المحاسبة والمالية وإدارة الأعمال وعلم النفس والمنطق والقانون ، وفن التحري والتحقيق في عمليات الاحتيال ، وعلم الكشف عن الجريمة ، وإحالة المحتالين إلى العدالة .

متى بدأ اهتمام المؤلف بالموضوع ؟

كان هذا أواخر عام ٢٠٠١م ، عندما قامت إحدى موظفات شركة إنرون ، أكبر شركة طاقة في حقل الغاز والكهرباء ، وسابع أكبر شركة أمريكية ، قامت هذه الموظفة بتحذير مفاجئ مفاده أن هناك اشتباهًا في وجود ممارسات احتيال في إدارة الشركة ، وعلى أعلى المستويات .

وكانت النتيجة **إفلاس** هذه الشركة ، الذي أدى بدوره إلى إفلاس شركة آرثر أندرسن ، إحدى أكبر شركات تدقيق الحسابات ؛ لأنها كانت متواطئة مع إنرون .

اقتراح تدريس مادة الاحتيال المالي

اقترح المؤلف على قسم المحاسبة ، في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة ولاية كاليفورنيا ، إدخال مادة الاحتيال المالي في منهاج القسم ، ضمن متطلبات البكالوريوس والماجستير . واستجاب القسم لاقتراح المؤلف ، بأن أصبحت هذه المادة مادة اختيارية في هذا المنهاج ، ولاقت إقبالاً من الطلبة .

أمثلة على الاحتيالات

ـ احتيالات المديرين الذين يبالغون في أرباح الشركات للحصول على مكافآت أكبر ، أو يختلسون رواتب موظفين وهميين .

ـ احتيالات مأموري المشتريات الذين يأخذون الرشاوى والعمولات من الباعة .

ـ احتيالات البائعين الذين يقدمون مستندات كاذبة لزيادة الأسعار على المشترين .

ـ احتيالات الزبائن في سرقة السلع ، أو تغيير أسعارها بتغيير ملصقاتها السعرية .

ـ اختلاسات الموظفين الذين يريدون العيش فوق مستواهم في الثروة والدخل .

ـ احتيالات المكلفين الذين يتهربون من دفع الضرائب كليًا أو جزئيًا .

ـ احتيالات المفلسين الذين ينقلون أصولهم (موجوداتهم) أو يخفونها .

ـ احتيالات المشتمّين Sniffers الذين يسرقون كلمة السر وينفذون احتيالات إلكترونية .

ـ احتيالات المتظاهرين بالحاجة ، الذين يطلبون تحويلات سريعة عن طريق شركة ويسترن يونيون بصفة قروض ثم يختفون .

ـ احتيالات السياسيين مع عوائلهم وأقاربهم الذين يستغلون نفوذهم (برنامج النفط في مقابل الغذاء بالعراق ، وبرنامج إعادة الإعمار ، وما شابه ذلك في هذا البلد أو ذاك) .

ـ احتيالات المستثمرين : مكيدة بونزي .

خطة بونزي Ponzi Scheme

هي مثال مشهور في مجال خديعة الاستثمار . فقد اختفى تشارلز بونزي فجأة من بلدته في مدينة بوسطن ، بعد أن ترك خبرًا بأنه ذهب إلى جنوب أفريقيا . وبعد عدة سنوات ، عاد إلى بوسطن ، وهو يلبس ثيابًا أنيقة وقبعة عالية ، ويحمل عصاً ذهبية ، ويدخن لفافة تبغ كبيرة ، وعليه علائم ثراء فاحش . وادعى أن لديه استثمارات ضخمة ورابحة جدًا في مناجم الذهب والألماس في جنوب أفريقيا . وبدأت أخبار بونزي تنتشر في بوسطن ، وشرع أصدقاؤه والمقربون منه يتمنون أن يساعدهم على الاستثمار في هذه المناجم . وأخذ يجمع مبالغ صغيرة ، كان يدفع لأصحابها أرباحًا كبيرة ، بدعوى نجاح استثماراته . وكان يدفع أرباح المستثمرين الجدد من أموال المستثمرين القدامى . وطالت مدة بقائه في بوسطن إلى أن جمع مبالغ كبيرة ، ثم عاد فاختفى فجأة ، وشاع نبأ عودته إلى جنوب أفريقيا . وطالت مدة اختفائه هو والأموال التي حملها معه !

تعليق

ربما فعل بونزي ما فعله قارون . قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص : ٧٩] .

طرق لمنع الاحتيال

ـ بيئة عمل يسودها الصدق والاستقامة والأمانة .

ـ عدم السماح بالجمع بين أعمال تتضارب فيها المصالح .

ـ لائحة آداب المهنة وأخلاقيات العمل : رد الهدايا ، أو تسليمها للشركة . منع إفشاء الأسرار .

ـ برامج رقابة .

ـ إعاقة التواطؤ : تقصير مدة مأمور المشتريات بنقله إلى وظائف أخرى .

ـ مخبرون سريون يطلقون صفارة الإنذار .

ـ العقوبة : السجن ، الغرامة ، الاسترداد ، الطرد .

علامات الاحتيال

ـ تزوير المستندات .

ـ تغير الخط .

ـ نقص الصندوق .

ـ نقص المخزون .

ـ قيود محاسبية مختلقة .

ـ إيرادات ومصروفات مزورة .

ـ السرف والترف في الإنفاق الشخصي والعائلي : ارتياد الملاهي ودور القمار ، إدمان على الخمور والمخدرات ، أثاث فاخر ، سيارات وطائرات ، لوحات فنية باهظة الثمن ، مجوهرات ، أراض ، عقارات ، مزارع .

طرق لكشف الاحتيال

ـ تحليل البيانات المالية : نسب مالية للسيولة والربحية ، مقارنات مع سنوات سابقة .

ـ فتح قنوات للشكوى والتبليغ عن الفساد : إذا كانت أبواب الزعماء مغلقة ، وليس هناك بريد إلكتروني لرئيس الدولة متاح للناس ، ولا صحافة ، ولا تلفزيون ، ولا إذاعة ، ولا قضاء ، ولا محافظة ، ولا بلدية ، ولا رقابة ، وكله فساد بفساد ، فكيف يمكن حل الفساد ؟

طرق التحقيق

ـ اختبارات الصدق والأمانة والاستقامة .

ـ دراسة الخطوط .

ـ آلات كشف الكذب : قياس سرعة نبضات القلب ، ضغط الدم ، التوتر ، التعرق .

ـ فن طرح الأسئلة .

ـ فن ترتيب الأسئلة .

مزايا الكتاب

ـ أهمية الموضوع .

ـ قلة الكتب العربية التي تعالج مثل هذه المسائل .

ما يؤخذ على الكتاب

ـ ارتفاع سعره (٦٢ ريالاً سعوديًا ، تاريخ الشراء ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٩م) .

ـ الإهداء : إلى جميع الشرفاء

إلى جميع محبي الصدق والأمانة والاستقامة ؛

إلى محاربي الاحتيال والساعين لمنعه ؛

إلى من يحب وطنه ويعشق أرضه الطيبة ؛

أقدم هذا البحث المتواضع ؛

إلى المرحوم والدي الذي قال لي قبل وفاته بأيام :

« ياعدنان إنني لا أذكر يومًا دخل علي فيه قرش واحد بالحرام »

الجملة الأخيرة فيها تزكية للنفس والأب . كما أن كلام والده قد يكون فيه مبالغة ، ويحتاج إلى تحقق . فالحرام في أيامنا من لم يأكله قد يصيبه غباره أو بخاره . ولو جاءت تلك العبارة في كتاب مذكرات لربما كانت مقبولة .

ـ قلة المراجع ، فلم يذكر إلا مرجعًا أجنبيًا واحدًا ، هو « **تحري الاحتيال ومنعه** » ، تأليف دبل ستيفن البرتش وتشاد البرتش ، نشر ساوث وسترن ، ٢٠٠٤م .

ـ كثرة **الأخطاء اللغوية** ، أذكر منها :

ـ ريثما يعدلوا ، والصواب : يعدلون .

ـ تفتح أبوابًا وفرصًا وإغراءاتًا ، والصواب : إغراءاتٍ .

ـ مارسها مديري المبيعات ، والصواب : مديرو .

ـ الغير متوقع تحصيلها ، والصواب : غير المتوقع .

ـ شراء مزرعة أو بيتًا أكبر ، والصواب : بيتٍ .

ـ عبارة عن سيف ذو حدين ، والصواب : ذي .

ـ تعطي نتائجًا ، والصواب : نتائجَ .

ـ لكي يختبأ ، والصواب : يختبئ .

ـ قام بدفعه لشخص أو أشخاصًا آخرين ، والصواب : أشخاصٍ .

ـ الناكرون ، والصواب : المنكرون .

ـ دعى مدقق الحسابات ، والصواب : دعا .

ـ يمكن أن يستجيبوا إراديًا أو غير إراديًا ، والصواب : استجابة إرادية أو غير إرادية .

ـ يحجب الرؤيا عنه ، والصواب : الرؤية .

ـ أعطي الشخصَ المحقق معه وقتًا ، والصواب : أعطِ .

ـ يغلق عيناه ، والصواب : عينيه .

ـ وغير ذلك .

تعليق أخير للمراجع

ـ إذا كان رؤساء الدول غير متواطئين وجادين في محاربة الفساد وراغبين وقادرين ، ولهم مصلحة في ذلك ، فليبدؤوا بأنفسهم وزوجاتهم وأقاربهم وبمن حولهم ، وليجعلوا قدوتهم **عمر بن عبد العزيز** خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز الذي بدأ بنفسه وثنّى بزوجته . وسلسلة الخلفاء الراشدين مفتوحة ، فيمكن أن يكون هناك خليفة سادس وسابع . . . ، كما أن سلسلة الخلفاء الحمقى والفاسدين مفتوحة ، فالقضاء على الفساد في الرأس يمنع الفساد فيما دونه .

ـ كيف يمكن القضاء على الفساد ، وأبواب السلاطين موصدة ، لا يمكن الوصول إليهم حتى عن طريق البريد الإلكتروني ، بل إن الوصول إلى الرئيس الأمريكي والبيت الأبيض في أكبر دولة أسهل من الوصول إليهم وأيسر وأجدى ؟

ـ من المستحيل القضاء على الفساد بمجرد الشعارات والادعاءات ؛ التي يرفعها ويرددها الرؤساء والملوك والحكومات للاستهلاك المحلي .

ـ كيف يمكن أن نصدق ما يقوله هؤلاء الرؤساء وإليهم تعود الحصص الكبرى من الفساد ؟

ـ هل يمكن أن يصدق أحد أن رئيس الدولة يرى الفساد البعيد الصغير ولا يرى الفساد القريب الكبير ؟ فالفساد الصغير مرتبط بشبكات من الفساد الكبير تبدأ به وتعود إليه . فلو منعنا الفساد الكبير لم يجرؤ على الفساد صغير . ولو غضضنا النظر عن الفساد الكبير لتجرأ الكل على الفساد . فالناس على دين ملوكهم . والسلطان سوق ، تروج فيه السلع التي يريدها السلطان .

ـ فساد المدير يعني تدمير شركة ، وفساد رئيس الدولة يعني تدمير البلد بكامله !

ـ هل إدارة منشأة أو رئاسة دولة هي فرصة للإصلاح ، أم فرصة للنهب ومن بعدي الطوفان ؟

ـ لاشك أن السلطة والثروة هما مظنّة الطغيان والفساد ، والطغيان والفساد هما في القمة أخطر مما دونها بكثير . فالشخص الشريف إذا وصل إلى السلطة أو الثروة ، فإنه سيكون معرضًا للانحراف والاعوجاج والتخلي عن الشرف شيئًا فشيئًا . وهنا نستحضر قول من قال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم ؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وهل الفساد إلا المعاصي والكبائر

والمحرمات ؟ لحسن الحظ أن هذه المفاسد هي قاسم مشترك بين جميع الأديان والنظم .

ـ صور الفساد أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه إن هو إلا مجرد أمثلة ، والفساد يجرّ فسادًا ، كما أن الصلاح يجر صلاحًا .

ـ صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس كلهم : **الأمراء والعلماء** ، وإذا فسدا فسد الناس كلهم !

ـ أقرب طريق إلى التقدم السريع (سنون لا قرون) هو النجاح في محاربة الفساد .

ـ أهم ما نتعلمه من دراسة الفساد هو أن الدولة تستطيع أن تنهض ، خلال سنوات قليلة ، إذا ما حاربت الفساد بصورة جدية . فلو أمضى رئيس الدولة سنة واحدة من ولايته ، وناضل في محاربة الفساد ، لظهرت علائم ذلك على البلد منذ السنة الأولى .

ـ إن القضاء على الفساد هو أهم دعامة من دعائم البنية التحتية أو الأساسية للبلد ، فمن يبني على فساد هو كمن يبني على غير أساس ، أو كمن يبني على أساس منهار !

ـ دعوا المناصب والوظائف والأعمال لأكثر الناس مهارة وأمانة ، ولا تدعوها لأكثرهم عجزًا وفسادًا .

ـ الفساد عدو داخلي لا تقل محاربته أهمية عن محاربة العدو الخارجي.

ـ سمّى بعض العلماء الحكومة الفاسدة حكومة لصوص ، أو حكومة قطاع طرق .

ـ الفساد ضياع وانهيار ودمار ، والصلاح قوة ونهضة وازدهار . فيا قوم اختاروا !

* * *

فضائح شركة إنرون

« **فضائح شركة إنرون : الجشع ، والغرور ، ونهاية شركة إنرون** » الكلمات الثلاثة الأولى ترجمت بتصرف ، والعنوان الأصلي للكتاب : Pipe Dreams: Greed, Ego and the Death of Enron تأليف روبرت برايس Robert Bryce ، ترجمة مروان أبو جيب ، نشر شركة الحوار الثقافي ، بيروت ، ومكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٦م ، ٤٣٨ صفحة + ٨ صفحات صور ، والأصل الأمريكي ٢٠٠٢م .

يتألف الكتاب من ٥١ فصلاً ، أذكر منها :

- المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية .
- حمّى شراء المسؤولين .
- واحة من الأفاعي السامة .
- حماقات جنسية .
- شراء ضمائر مجلس الإدارة .
- النساء المتعريات .
- الأسهم المجانية .
- شعوذة المشتقات .
- المدير المالي .
- العيش الرغيد .
- الإفلاس .

وهاك ملخصًا للكتاب تحت الفقرات التالية :

مقدمة المؤلف

ـ « هذا الكتاب متعة ، ولكنه يفطر القلب ألمًا » .

ـ يرجع سقوط الشركة إلى أن قادتها الرئيسيين فقدوا مسلكهم الأخلاقي .

ـ لماذا دبّ الفساد في أوصال شركة إنرون ؟

ـ عزمت على أن يكون الحياد طابع هذا الكتاب ؛ لأن الأوغاد لم يتحدثوا إلي ولا إلى غيري ؛ ولأنه لا شأن لي بالتعامل مع أطبائهم أو محاميهم الذين يلفقون القصص عنهم .

ـ قابلت من أجل هذا الكتاب ما يزيد على ٢٠٠ شخص ، وقابلت بعضهم عدة مرات .

ـ جمعت أكثر من ١٨٥٠ وثيقة مصورة .

ـ راجعت حوالي ٢٤ كتابًا ، وعشرات النشرات الإخبارية والتقارير .

ـ اعتمدت على اثنين من المحاسبين العموميين المجازين ، اطلعا على دفاتر شركة إنرون .

ـ أخي وولي برايس Wally Bryce ، وهو محاسب عمومي مجاز ، طرحت عليه أكثر من ٣٧٦١ سؤالاً محاسبيًا .

ـ أشكر مركز دراسات المشتقات .

ـ أشكر لو ديبوز Lou Dubouse الذي شجعني على كتابة الكتاب ، واقترح علي عنوانه ، وصحح لي ما كتبت .

ـ أشكر بوب إدلر Bob Edler المحرر الآخر الدؤوب ؛ الذي عانى من سوء كتابتي .

تقديم السيدة مولي إيفنز

ـ روبرت برايس أفضل محرر بين جيله في استقصاء الحوادث .

ـ لماذا ؟ هل هو الجشع ؟ الغباء ؟ ترك الحبل على الغارب ؟ الفساد ؟

ـ يبدأ تفسخ السمكة من رأسها .

ـ النظام السياسي الأمريكي متواطئ إلى درجة الفجور ، كما يقال في تكساس .

ـ فساد السياسة الأمريكية .

ـ إنرون تساهم في تمويل الحملة الانتخابية لبوش، وشراء الأصوات.

ـ كبار المديرين ينهبون الشركة .

ـ بعض الأبطال قادوا السفينة بنزاهة .

ـ بعض المواطنين المتفردين يدقون ناقوس الخطر ضد العابثين .

ـ قصة رائعة ومرعبة .

ـ علينا تقويم النظام .

شركة إنرون

ـ أول شركة لخطوط أنابيب نقل الغاز عبر القارة .

ـ سابع أكبر الشركات في الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ناطحة سحاب تقع في خمسين دورًا .

ـ حاولت الاندماج قبيل إفلاسها فلم تفلح .

ـ أفلست بعد ١٥ سنة من إنشائها : ١٩٨٥ـ ٢٠٠١م .

ـ أعلى سعر للسهم في ١٩٩٩ و٢٠٠٠م : ٩٠ دولارًا ، وأدنى سعر وصل إليه في ٣ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١م هو : ٤٠ سنتًا بعد صدور إعلان وكالات الملاءة بهبوط درجة دينها إلى حد الهلاك .

ـ نقص السيولة وتعاظم الديون الطويلة الأجل والقصيرة وأعباء الفوائد .

ـ الترف الإداري : استخدام طائرات الشركة ، تزيين المكاتب ، وزخرفتها باللوحات ، والتحف الفنية ، والسجاجيد ، والستائر الباهظة التكاليف ، نفقات السفر ، البذخ في الولائم والمطاعم والنزهات والحفلات ، عقد الاجتماعات في أكثر المنتجعات ترفًا . كرة أرضية زجاجية في ردهة المبنى الجديد كلفت الشركة مليوني دولار .

ـ السرقات والاختلاسات والعمولات .

ـ التستر على الخسائر والديون .

ـ الأسهم المجانية للمديرين ، واستخدامها لصالحهم على حساب الجمهور .

ـ الرواتب والتعويضات الخيالية للمديرين ، وما أدى إليه ذلك من غرور وكبر وعجرفة وانغماس في الرذائل : كل رذيلة تجرّ صاحبها إلى رذيلة أخرى : رذائل مركبة !

ـ الحيل المالية والمحاسبية : المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية ، الصفقات التي لا تظهر في الميزانية ، مجموعتان من الدفاتر .

ـ من أسباب الإفلاس أيضًا التعامل بالأوراق المالية والمشتقات الشديدة المخاطر والمقامرات والمضاربات .

ـ من أسباب الإفلاس كذلك التكاليف الباهظة لحرب بوش على صدام .

ـ استغلال المرأة الموظفة جمالها وفتنتها لأغراض خبيثة .

ـ العلاقات الغرامية والدعارة .

ـ وقع الإفلاس في وقت عصيب بعد يومين من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م .

ـ إفلاس إنرون هو الأكبر في التاريخ الأمريكي بعد شركة وورلد كوم .

ـ انهيار إنرون هو من أكبر الفضائح السياسية في التاريخ الأمريكي .

ـ أكبر فضيحة نزلت في وول ستريت .

ـ أسوأ مثال في تاريخ الشركات الأمريكية على قرصنة المديرين الذين جمعوا ثروات لا تصدق .

ـ شركة المحاسبة آرثر أندرسن تواطأت مع إنرون في أكبر فضيحة عرفتها مهنة المحاسبة ، ثاني أقدم المهن في العالم . واتُّهمت بعرقلة سير العدالة في التحقيقات الجارية مع إنرون .

طائرات الشركة

كان أسطول الشركة في ربيع ٢٠٠١م يضم : ست نفاثات ، اثنتان منها فالكون Falcon ٩٠٠ ، وثلاث هوكر Hawker ٨٠٠ ، وواحدة فالكون ٥٠ . تكلف ساعة الطيران الواحدة في فالكون ٩٠٠ حوالي ٥٢٠٠ دولار ، وثمن الطائرة الجديدة منها ٣٠ مليون دولار ، والهوكر ١٠ ملايين دولار . وهذه الطائرات تتسع لعدد محدود من الركاب لا يزيد على ١٦ راكبًا .

أكبر من أن تفشل

ساد الاعتقاد بأن شركة إنرون هي أكبر من أن تفشل ، ولا يمكن أن تلحق الخسارة بها .

الهندسة المالية

حاول المدير أن يزيد في إيرادات الشركة وتدفقاتها النقدية باللجوء إلى الديون بدل القروض ، وعدم إظهار الديون في ميزانية الشركة ، واستعمال غطاء الكيانات ذات الأغراض الخاصة (الحيل) SPV ، كي لا يضعف تقدير ملاءتها المالية . وأصبحت هذه الكيانات طريقة سريعة وقذرة لاصطناع إيرادات وتدفقات نقدية سريعة . وسعى المدير المالي للقيام بذلك عن طريق الهندسة المالية ، والحيل المحاسبية .

طريقة المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية

ربما تعني هذه الطريقة ، التي تكرر ذكرها كثيرًا في الكتاب ، افتراض أسعار مستقبلية عالية ، واستباق تسجيل إيرادات الشركة من مبيعاتها القادمة ، لأجل إظهار إيرادات وتدفقات نقدية في الشركة ، للتمويه على عجز السيولة لديها ، وتأخير إعلان إفلاسها .

المشتقات

بدأت الشركة بشراء وبيع مشتقات مبنية على أسهمها ، وهذه المشتقات كثيرة التقلبات وشديدة المخاطر من الناحية الاستثمارية ، بل هي المقامرة بعينها .

الزهور

أنفق أحد الأقسام في الشركة حوالي مليوني دولار على الزهور عام ١٩٩٧م : أمينات السرّ يرسلن الزهور إلى رؤسائهن ، والرؤساء يرسلون الزهور إلى أمينات سرّهم . وبعض أمينات السرّ يرسلن الزهور إلى أصدقائهن ليحصلن على المزهريات الجميلة التي توضع فيها الزهور . وكانت الشركة أكبر زبون لدى خمسة محلات لبيع الزهور في هيوستن .

الصمت

ـ لم يتابع أحد في شركة إنرون ما يفعله فيها المديرون .

ـ لم يجرؤ أحد على أن ينطق بكلمة . الغرور والغطرسة من طرف ، والخوف واللامبالاة من الطرف الآخر . غطرسة إنرون تكلفها اليوم غاليًا ، كحال الصندوق الذي كان تحت قيادة مجموعة من المغرورين المتاجرين ، المتعالين بأنفسهم والحائزين على جائزة نوبل .

محاولات الاقتراض الكثيف للإنقاذ

لم تُجدِ هذه المحاولات في استنقاذ إنرون من الإفلاس .

تسريح الموظفين

ـ آلاف الموظفين والعمال .

ـ أمامك نصف ساعة فقط لمغادرة المبنى .

ـ ٤٠٠٠ ألقت بهم إنرون في الشارع .

باستطاعتي مهاتفة بوش كلما احتجت إليه

ـ حملة لجمع التبرعات : ١٠٠٠ دولار يضعها المتبرع في صحن

يطاف به في حفلات التبرع لصالح بوش ، وهو أكبر مبلغ مسموح به لمرشحي الرئاسة .

ـ وضع أسطول طائرات الشركة تحت تصرف حملة بوش الانتخابية .

ـ قدمت الشركة ٣٠٠ ألف دولار للمساعدة على حفل تنصيبه .

ـ كان كل طرف يوصي بتعيين مسؤولين لدى الطرف الآخر .

ـ لم تتمكن سيدة عضو في مجلس الشيوخ من تحديد موعد مع بوش للنظر في مشكلة الكهرباء في كاليفورنيا ؛ لأنها من الحزب الديمقراطي ؛ أو لأن الولاية صوتت لصالح آل غور في الانتخابات . ورفض البيت الأبيض طلبها ، برسالة رسمية كتب فيها اسمها بصورة غير صحيحة . لكن وقت البيت الأبيض كان يتسع كثيرًا لشركة إنرون !

ـ كان بوش المدافع عن إنرون في كاليفورنيا ، ومحصّل فواتيرها في الهند .

ـ قدموا لبوش في انتخابات منصب حاكم ولاية تكساس ١٩٩٣م أكثر من ١٤٦ ألف دولار .

غرينسبان يرفض المال من إنرون

آلان غرينسبان رئيس بنك الاحتياط الاتحادي رفض قبول المال من إنرون . اشترت إنرون أعضاء في البيت الأبيض ، وحكام ولايات ومؤثرين في صنع القرار ، ووزراء وعددًا من الرؤساء ، ولكنها لم تستطع أن تشتري زوج أنريا ميتشيل الحذر .

تقديم الكهرباء إلى الهند

ـ مشروع دابول .

ـ رفضت الهند المشروع ، على الرغم من محاولات بوش وتشيني لدعم إنرون في مواجهة الهند ، حتى أفلست إنرون ، ولم تفلح الجهود الأمريكية في إنقاذ استثمارات إنرون المعدومة في زحزحة الحكومة الهندية عن موقفها .

السلاح النووي

شددت الحكومة الأمريكية الخناق على الهند ففرضت عقوبات اقتصادية عام ١٩٩٨م عليها وعلى الباكستان ، في أعقاب قيام الدولتين بتجربة الأسلحة النووية .

شخصيات إنرون

في مطلع الكتاب ورد ذكر أسماء هذه الشخصيات ومناصبهم ومبيعات أسهمهم في شكل جدول .

شخصيات عربية ورد ذكرها

ـ الملك حسين .

ـ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الإمارات العربية المتحدة .

ـ الأمير خالد ولي العهد السعودي .

ـ الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة .

ـ الأمير الوليد بن طلال .

ـ أحمد زكي يماني وزير النفط السعودي .

ـ صدام حسين .

ـ ياسر عرفات .

شخصيات أجنبية ورد ذكرها

- كلينتون
- بوش .
- ديك تشيني .
- جيمس بيكر .
- كارلوس منعم .
- غورباتشوف .

لمن تقرع الأجراس ؟

هل تقرع الأجراس لصالح المديرين الفاسدين أم تقرع لصالح الجمهور من المساهمين الغافلين ؟

هل عوقب الفاسدون بما يستحقون ؟

أم حكمت المحكمة بعدم كفاية الأدلة ، ونجوا بثرواتهم الخيالية غير المشروعة ، ووقعت المصيبة على الجمهور والأمة ؟ هل كان المشتكى إليه أقل فسادًا من المشتكى عليه ؟

مزايا الكتاب

- الكتاب أنجزه صاحبه بسرعة ، مع كثرة الجهود التي بذلها في إعداده ، وهو كتاب شيق غير ممل ، ومكتوب على الطريقة الغربية الشائعة الآن ، بطريقة كتابة الرواية (القصة الطويلة) ، بقلم كاتب غربي ينكر من مفاسد النظام الليبرالي ، بوجهيه الاقتصادي والسياسي ، ما ننكره نحن المسلمين ، من القمار والمشتقات والعلاقات غير الشريفة

بين المرأة والرجل . كما ينكر التكبر والعجرفة ، والهيمنة والغرور ، والجشع والسرقة ، والاختلاس وسوء استعمال المال العام ، والإسراف في الإنفاق والديون ، وما إلى ذلك من مفاسد ، صرنا نشك معها في صلاحية النظام الرأسمالي ، والنظام الديمقراطي ، وصلاحية الشركات الاحتكارية الكبرى ، ونميل إلى الشركات المتوسطة والصغيرة .

ـ ومن المزايا الطبعة الأنيقة للكتاب .

ما يؤخذ على الكتاب

ـ بالرغم من أن الكاتب قد استعان ببعض المحاسبين لكي يشرحوا له بعض المصطلحات ، إلا أن هذه المصطلحات بقيت عنده غامضة بعض الشيء . ولعلي رأيته قد بالغ في عدد الأسئلة التي طرحها على أخيه ٣٧٦١ سؤالاً ، فلم أجد أثرًا يدل على هذا العدد الكبير من الأسئلة .

ـ ومن المآخذ تأخر ترجمة الكتاب ، فهناك فاصل زمني قدره ٤ سنوات بين التأليف والترجمة .

كلمة للمُراجع لا للمؤلف

إذا كان هؤلاء الخبراء والمديرون في بلدانهم هكذا ، حيث المؤسسات والقانون والديمقراطية ، والعلم والتقنية والمحاسبة ، والمساءلة والقضاء ، وشركات المراجعة والتدقيق والتصنيف ، تُرى إذا أتي بمثلهم إلى بلداننا خبراء فماذا هم فاعلون ، حيث تغيب كل هذه الخصائص والخصال ؟ هل سنكتشف أنهم مجرد أوهام : لا علم ولا أخلاق !

الترجمة

الترجمة جيدة وواضحة ، ولكن لم أجد قائمة مصطلحات في آخر الكتاب ، وهناك بعض الأخطاء اللغوية القليلة ، منها :

ـ إحدى استعمالاته ، والصواب : أحد .

ـ إلى أن يكون للغاز قدمًا في السوق ، والصواب : قدم .

ـ ليس هذا عمل غير أخلاقي ، والصواب : عملاً .

ـ النمو المضطرد ، والصواب : المطرد . وهو خطأ متكرر .

ـ كلا الرجلان ، والصواب : كلا الرجلين .

ـ كانت عضوة ، والصواب : عضوًا .

ـ يقدمون أنفسهم لبعضهم البعض ، والصواب : يقدمون أنفسهم بعضهم لبعض . وهذا متكرر .

ـ كانا يحبان بعضهما البعض ، والصواب : يحب أحدهما الآخر .

ـ أن تجد أب يرعاك ، والصواب : أبًا .

ـ يقال : أنها ساهمت ، والصواب : إنها .

ـ ثماني دولارات ، والصواب : ثمانية .

ـ قدر رئيس الاحتياطي الأمريكي أن استعمال المديرون ، والصواب : المديرين .

ـ توفر لها رؤيا ثاقبة ، والصواب : رؤية .

ـ يتطلب رأسمال كبيرًا ، والصواب : رأس مال .

ـ كلا الشبكتين ، والصواب : كلتا .

ـ لكن الخيارات نفذت ، والصواب : نفدت . وهو متكرر .

ـ لكن تدخل إدارة بوش ملفتة للنظر ، والصواب : لافت . فهناك خطآن .

ـ في الأسبوع الذي تلى ، والصواب : تلا .

ـ شركتان أخريان ، والصواب : أخريان .

ـ الأصول والمطالب ، ولعل الأفضل : الأصول والخصوم ، أو الموجودات والمطلوبات أو المطاليب . وهذا اصطلاح محاسبي .

ـ مطايا مالية ظهرت في ميزانية الشركة ، وتعبير مطايا غامض ، لاسيما إذا أريد به أن يكون مصطلحًا محاسبيًا .

ـ خسرت ١٠٢ مليون لقاء إيرادات بلغت ١٦ مليونًا ، تعبير الخسارة يقابله تعبير الأرباح ، وتعبير الإيرادات يقابله تعبير المصروفات ، فهل المقصود فعل (أنفقت) بدل (خسرت) ؟ وهذا متكرر .

* * *

مذكرات آلان غرينسبان

« آلان غرينسبان : عصر الاضطراب : مغامرات في عالم جديد »The Age of Turbulence Adventures in a New World ، ترجمة أحمد محمود ، مراجعة سامر أبو هواش ، نشر كلمة ، أبو ظبي ، ودار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ٦٢١ صفحة ، الأصل الأمريكي ٢٠٠٧م .

تعليق : سبق لدار الشروق أن نشرت لأحمد زويل : عصر العلم ، ٢٠٠٥م . فالعنوان المختار لسيرة زويل : عصر العلم ، والعنوان المختار لغرينسبان هو : عصر الاضطراب . ولو حدث ونشرت أنا مذكراتي لاخترت : عصر الحيل .

يتألف الكتاب من مقدمة و٢٥ فصلاً ، ١٢ فصلاً منها تتعلق بالسيرة الذاتية ، و١٣ فصلاً تتعلق بأفكار المؤلف .

آلان غرينسبان

آلان غرينسبان Alan Greenspan ولد عام ١٩٢٦م (أي عمره اليوم ٨٤ سنة) ، بدأ حياته عازف كلارينيت . حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من جامعة نيويورك . أسس شركة للاستشارات الاقتصادية « تاونسند ـ غرينسبان » في عام ١٩٥٤م . وترأس مجلس المستشارين الاقتصاديين في عهد الرئيس الأمريكي فورد ١٩٧٤ـ ١٩٧٧م . وكان أبرز مناصبه التي شغلها هو رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياط الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) منذ عهد الرئيس

ريغان ، لمدة تزيد على ١٨ عامًا ، في الفترة ١٩٨٧ـ ٢٠٠٦م ، وكان سلفه في هذا المنصب بول فولكر ، وخلفه برنانكي .

الشخصية

ـ حبي للأرقام قديم ، فعندما كنت صغيرًا كانت أمي توقفني أمام أقاربها وتقول لي : آلان ، ٣٥+٩٢ = كم ؟ ثم تنتقل إلى أرقام أكبر ، ثم تتحول من الجمع إلى الضرب ، وهكذا . وبالرغم من ذلك كله ، لم أكن واثقًا من نفسي ، ففي حين كانت أمي تستطيع أن تجعل من نفسها نجمة الحفل العائلي كنت أنا أزداد ميلاً إلى **الانزواء** .

ـ لم أكن في يوم من الأيام مستريحًا بالكامل لأن أعطى دور الشخص الذي يحدد السياسة . فمنذ سنوات حياتي المبكرة ، كنت أنظر إلى نفسي على أني خبير يعمل من وراء الكواليس ، ومنفذ للأوامر وليس قائدًا . وقد تطلب الأمر حدوث أزمة سوق الأوراق المالية في عام ١٩٨٧م ، كي أشعر بالراحة وأنا أتخذ قرارات سياسية مهمة . ولكني لا أشعر حتى يومي هذا بالراحة عندما أكون في دائرة الضوء . فأنا **لست منبسط الشخصية** .

ـ أثناء فترة رئاستي لبنك الاحتياط حرصت على عدم الظهور في التلفزيون ، ونادرًا ما أجريت مقابلات مع الصحفيين .

ـ كنت في عيادة طبيب العظام ، فدخلت الممرضة لتقول : إن البيت الأبيض على الهاتف . واستغرق توصيل المكالمة بضع دقائق ؛ لأن موظفة الاستقبال ظنت الأمر مقلبًا . رفعتُ السماعة ، فقال لي رونالد ريغان : آلان ، أريدك الآن أن تكون رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياط الفيدرالي . قلت له : يشرفني ذلك . وعندما عدت إلى قاعة الانتظار ، بدت الممرضة شديدة الاهتمام وسألتني : هل أنت على ما يرام ؟ يبدو أنك كمن تلقى خبرًا سيئًا !

الدكتوراه

ـ حصل عليها وهو على رأس عمله في رئاسة بنك الاحتياط الفيدرالي، أي: لم يكن يحمل شهادة الدكتوراه عندما تولى هذا المنصب .

ـ عنوان رسالته : أنماط الإنفاق والادخار للأسر المعيشية الأمريكية .

حزبه

طول حياتي جمهوري ، لكن لي أصدقاء على جانبي الممر السياسي . وكنت أظن أنني تفهمت امتعاض الحزب الديمقراطي عندما استولى جورج دبليو بوش على البيت الأبيض .

وصفة طبية

كنت أعمل ما بين ١٠ و١٢ ساعة يوميًا . وأتبع روتينًا يبدأ بحمام ساخن في الفجر . وذلك بعد ألم أصاب ظهري عام ١٩٧١م ، وأوصاني طبيب العظام بالبقاء في الماء الساخن لمدة ساعة كل صباح . وشفي ظهري بالتدريج ، وصار الحمام بعد ذلك نشاطًا اختياريًا .

ما تعلمته من صديقتي

بقيت أنا وآين راند صديقين حميمين حتى وفاتها عام ١٩٨٢م . وأنا أدين لها بالفضل ، لما كان لها من تأثير كبير على حياتي . فقد كنت محدودًا من الناحية الفكرية إلى أن التقيت بها . وكان عملي كله يقوم على الأرقام ، ولم يكن لي أي توجه قيمي (. . .) . لقد وسّعت (راند) آفاقي إلى ما وراء نماذج علم الاقتصاد ، فبدأت أدرس كيف تتشكل المجتمعات ، وكيف تتصرف الثقافات (. . .) . لقد قدمتني إلى مجال واسع كنت حبست نفسي عنه .

معلمي الأول

كان معلمي الأول في بنك الاحتياط الفيدرالي رئيس قسم التمويل الدولي فيه : تيد ترومان (. . .) . وكان يشرف على تعليمي فيما يخص الاقتصاد الأمريكي ، بالإضافة إلى (دون كوهن) ، (دافيد ستوكتون) كبير اقتصاديي بنك الاحتياط الفيدرالي منذ عام ٢٠٠٠م .

رئيس بنك الاحتياط الفيدرالي

تعليق : قد يبدو هذا المنصب مخيفًا ، وقد يبدو أن المهمة لا تتعدى رفع سعر الفائدة أو خفض سعر الفائدة ، بمقدار ربع نقطة أو نصف نقطة ، وانتظار الاستجابة من الاقتصاد القومي . وآلان غرينسبان هو واحد من مجموعة خبراء يتخذون قراراتهم بالتصويت .

استقلالية البنك

ـ بنك الاحتياط الفيدرالي مستقل عن البيت الأبيض طبقًا للقانون .

ـ لكن يؤسفني أن أقول : إن استقلال بنك الاحتياط الفيدرالي ليس أمرًا غير قابل للتغيير .

هل علي أن أقبل جائزة أونرون ؟

هذا هو السؤال الذي طرحته في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١م على صديقي القديم ومعلمي جيمس بيكر ، فردَّ قائلاً : إنها جزء من برنامج معهد بيكر الذي تتحدث فيه . لم أكن أدري أن هناك مكافأة سوف تمنح في حفل العشاء . فقد كان سهم إنرون ينهار ، وخلال ٣ أسابيع ستكون الشركة عاجزة عن سداد ديونها . وافقت على قبول الجائزة بشرط ألا يكون هناك تقديم رسمي أو أن يدخل في الأمر أي مال .

تعليق : الشرط غامض ، وهو بخلاف ما رواه مؤلف كتاب : فضائح شركة إنرون !

تبخرت إنرون ولم تترك وراءها إلا غضب المساهمين والعاملين . ولم أر شركة أمريكية كبيرة تهبط من وضع متميز إلى انعدام فعلي بهذه السرعة ! وكان **التلاعب المحاسبي** هو العامل الأبرز في الانهيار .

السياسة النقدية

ـ يجب أن تجعل السياسة النقدية الاقتصاد ، حتى اقتصاد العملة الورقية ، يتصرف وكأنه مغطى بالذهب . لابد أن العالم قد تعلم باستمرار فوائد الأسعار المستقرة للنمو الاقتصادي ومستويات المعيشة .

ـ كان لدي باستمرار حنين إلى استقرار الأسعار الفطري الخاص **بقاعدة الذهب** ؛ إذ كانت العملة المستقرة هي الهدف الأساسي لهذه القاعدة .

ـ ليس هناك دعم لقاعدة الذهب الآن ، ولا أرى احتمالاً لعودتها . ذلك أنها لا تتفق بسهولة مع الرؤية المقبولة حاليًا على نطاق واسع ، فيما يتعلق بوظائف الحكومة ، لاسيما وظيفة توفير شبكة الأمان الاجتماعي .

ـ ليس معروفًا ما إذا كان سيسمح لبنك الاحتياط الفيدرالي بتطبيق دروس السياسة النقدية الخاصة بالعقود الأربعة الماضية . على أن حالة السياسة الأمريكية التي تتسم بالقصور لا تمنحني أي ثقة في المدى القصير ، بل إننا سنرى بدلاً من ذلك عودة الخطاب الشعبوي المعادي لبنك الاحتياط الفيدرالي ، والكامن منذ عام ١٩٩١م .

العالِم والحكومة

شاركت في اشتباك إيديولوجي عام ١٩٩٤م ، عندما ناقشت في

الصين رأسمالية السوق الحرة مع (لي بنج) وهو ماركسي متحمس ، وسلف (زو) في رئاسة الوزراء ، وكان مجادلاً مخيفًا . ولم أكن أتوقع أن يغير رأيه . وكان كلانا في وضع مسؤولين حكوميين يدخلون في جدال ، إلا أنه عندما يثبت خطؤهم لا تجد لديهم سلطة الاعتراف بالخطأ . وبغض النظر عن مقدار ما بذلته من جهد لإقناعه ، وما بذله هو من جهد لإقناعي ، إلا أن أيًا منا لا يستطيع أن يحيد علنًا عن سياسة حكومته المعلنة !

تعليق : في بلداننا النامية عندما نرى مسؤولاً يدافع عن سياسة حكومته ، ولا يجرؤ على مخالفتها ، فإنه يتعرض للازدراء ويتهم بالتملق والنفاق ! ما الفرق بيننا وبينهم ؟

الاشتراكية

ـ الملكية الخاصة سرقة .

ـ الربح غير أخلاقي .

تعليق : في الإسلام الملكية الخاصة مشروعة ، والتجارة مشروعة ، والربح مشروع ، وتعظيم الربح مشروع في حدود الأحكام والآداب الإسلامية . ومع كل هذا ، لا يتفق النظام الاقتصادي الإسلامي مع النظام الرأسمالي ، لاختلاف الحلال والحرام بيننا وبينهم .

الاشتراكية الفابية

ـ سُميت باسم القائد الروماني القديم (فابيوس) الذي قاوم جيش (هانيبال) الغازي ، وذلك بإستراتيجية عسكرية تقوم على الاستنزاف ، وليس على المواجهة الشاملة . كذلك لم يكن الفابيون يهدفون إلى القضاء على الرأسمالية ، بل كانوا يهدفون إلى احتوائها . وكانوا يؤمنون بأن على

الحكومة أن تحمي الرفاه العام حماية فعالة من منافسة قوى السوق القاسية . وكانوا يدعون إلى الحمائية في التجارة ، وإلى تأميم الأرض . وكانوا يضمون في صفوفهم بعض المشاهير ، من أمثال جورج برناردشو وبرتراند راسل .

ـ بخلاف ماركس ، لم يكن الاشتراكيون الفابيون ، أواخر القرن التاسع عشر ، يسعون إلى الثورة .

ـ كان يرى الكثيرون أن الاشتراكية الفابية تجعل اقتصادات السوق مقبولة من الناحية السياسية ، كما تمنع الشيوعية من الانتشار .

ـ شارك الفابيون في تأسيس حزب العمال البريطاني .

ـ في الهند اعتمد جواهر لال نهرو على المبادئ الفابية في السياسة الاقتصادية الخاصة بخمس سكان العالم .

إعادة تعريف الاشتراكية

أعاد الاشتراكيون في الغرب تعريف الاشتراكية ، بحيث لم تعد تتطلب ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج .

لمصلحة من ؟

ـ أظن أن (هنري غونزاليس) كان يفترض أن مجلس بنك الاحتياط الفيدرالي هم مجموعة من المعينين الذين يديرون السياسة النقدية لمصلحة وول ستريت أكثر من مصلحة الرجل العادي .

ـ يقول (بروس فنتو) عضو الكونغرس : إننا نحمي الأغنياء من الآثار القاسية لقوى السوق ، مع أن هذه القوى كثيرًا ما تتسبب في بؤس الشخص البسيط . إن هناك قاعدتين : إحداهما للشارع العام ، والأخرى لشارع وول ستريت .

تعليق : حماية الضعفاء من طغيان الأقوياء لا يكون إلا في الأديان السماوية . أما في النظم المادية فإن الأقوياء والأثرياء لا ريب أنهم هم الذين يتحكمون بالسياسة والاقتصاد والمال والتشريع .

سلطة الرئيس الأمريكي

ـ عندما ترك نيكسون منصبه شعرت بالارتياح ، فأنت لا تعرف ما يمكن أن يفعله ، في الوقت الذي يتمتع فيه رئيس الولايات المتحدة بسلطة مخيفة . فمن الصعب جدًا على أحد ضباط الجيش ، أقسم على دعم الدستور ، أن يقول : سيدي الرئيس ، لن أفعل ذلك !

ـ كنت أشعر أن أصعب شيء في العالم أن تقول : لا ، لرئيس الولايات المتحدة .

تعليق : قد لا يتوقع المرء منا أن يهاب خبير في بلد رأسمالي ديمقراطي مثل هذه الهيبة من رئيس الدولة . هل نحن أشجع منهم ، أم نحن فدائيون ؟

خطبة بوش

إن الهجوم (١١ سبتمبر أيلول ٢٠٠١م) يستهدف أمريكا ؛ لأنها ألمع علامات الحرية وفرص التقدم في العالم . لن يمنع أحد هذا الضياء من أن يسطع .

ملياردير سعودي

كان أحد أعضاء المجلس الاستشاري العالمي لمورغان ملياردير سعودي اسمه (سليمان العليّان) ، وكان مستثمرًا يكبرني ببضع سنوات ، بدأ حياته سائقًا للشاحنات في شركة النفط الأمريكية العربية أرامكو في الأربعينيات . وهو أول من أدخل **التأمين** إلى المملكة .

الأزمات

ـ من خلال خبرة ١٤ عامًا (إلى حين هذا الكلام) من عملي كرئيس لبنك الاحتياط الفيدرالي ، رأيت الاقتصاد يخرج سالمًا من أزمات كثيرة (. . .) . وأخذت شيئًا فشيئًا أعتقد أن أعظم قوة للاقتصاد الأمريكي تكمن في قدرته على التعافي .

ـ لا ترسم المشكلات المالية التي تواجه ربع القرن المقبل مجتمعة صورة لطيفة . لكن مع ذلك فقد خرجنا بسلام مما هو أسوأ من ذلك بكثير . والواقع أن هناك في الوقت الراهن عددًا من **الاختلالات المالية المخيفة** .

ـ إن التعاملات السريعة والمحملة بالمخاطر يمولها مستثمرون محترفون أثرياء ، وليس الجمهور العام . وسوف تفشل جهود مراقبة سلوك السوق الذي يمضي بسرعات ضخمة ، كما سوف تفشل محاولات التأثير عليه . لم يعد القطاع العام كفؤًا لأداء المهمة . إن جيوش الفاحصين لمراقبة المعاملات العالمية في الوقت الراهن ستقضي بأعمالها على المرونة الضرورية جدًا لمستقبلنا . ليس أمامنا من اختيار معقول سوى أن ندع الأسواق تعمل ، ففشل السوق هو الاستثناء النادر ، ومن الممكن تخفيف نتائجه من خلال نظام اقتصادي ومالي مرن .

تعليق : الرأسماليون يعوّلون كثيرًا على نجاح السوق وفشل الحكومة ، خلافًا للاشتراكيين ، فإذا وقعت أزمة ، هل تنجح السوق في تصحيح نفسها ، أم تنجح الحكومة في التدخل ؟ سؤال يحيرهم ، ويكفكف من تغنيهم بالحرية وتخفيف القيود أو إلغائها . كأني بالرأسماليين يتصرفون ويقولون : السوق تتكيف وتصحح نفسها ، أو يقولون : ومن بعدي الطوفان ! أو إن للبيت ربًا يحميه !

الركود والكساد والانتعاش

قال ريغان : الركود هو عندما يفقد جارك وظيفته ، والكساد عندما تفقد أنت وظيفتك ، والانتعاش عندما يفقد كارتر وظيفته !

تعليق : هذه تعاريف سياسية لاذعة في السخرية .

أزمة ٢٠٠٣م

ـ بحلول عام ٢٠٠٣م كان الكساد الاقتصادي قد قطع شوطًا طويلاً ، وكان من المحتمل دخول الاقتصاد الأمريكي في دوامة تصيبه بالشلل . ففي الاقتصادات الحديثة التي يعدّ التضخم صداعها المزمن ، يكون الانكماش مرضًا نادرًا .

ـ لم تعد الولايات المتحدة تقوم على قاعدة الذهب ، ولا يمكنني تصور حدوث الانكماش في ظل قاعدة العملة الورقية . فقد كنت أفترض باستمرار أنه إذا بدا الانكماش وشيكًا أمكننا البدء في تشغيل المطابع وخلق الدولار بالقدر الضروري لوقف الانكماش .

كشف التلاعب والاختلاس

ـ التلاعب مدمّر لعمليات السوق ؛ لأن كل مشارك في السوق بحاجة إلى الاعتماد على صدق المشاركين الآخرين .

تعليق : كيف ينفي هؤلاء الاقتصاديون الأخلاق من الأبواب ، ثم يعودون إلى المطالبة بها من النوافذ ؟ ألم يصرحوا كثيرًا بأن الاقتصاد لا علاقة له بالأخلاق ؟ !

ـ الغش والتلاعب هما لعنة نظام السوق ، وإن واشنطن سوف تحسن صنعًا إذا ما أسرعت في تنفيذ القوانين المضادة للغش والاحتيال .

ـ مع أن بعض مراقبي البنوك يجيدون الترويج للممارسات المصرفية السليمة ، إلا أن فرصتهم ضئيلة في كشف معظم التلاعب أو الاختلاس ، بدون عون من أحد المبلّغين من الداخل . فالإشراف على البنوك لا يبحث عن النشاط الإجرامي . فقد حدث أن مفتشي بنك الاحتياط الفيدرالي أعطوا تقديرين مرتفعين لفرع أحد البنوك اليابانية في نيويورك ، في الوقت الذي كان فيه هذا الفرع مسرحًا لقدر كبير من الاختلاس المستمر . ولم يكشف عن هذه الجرائم إلا أحد المطلعين من الداخل . ولولا ذلك لاحتجنا إلى جيش ضخم ومكلف من المحققين أو المراقبين ، ربما يعرقلون عمل الشركة ويهددون قابليتها للاستمرار .

ـ قال روزفلت : دعوا اللص يمسك اللص .

قروض الرهن العقاري

ـ في أنحاء كثيرة من الولايات المتحدة ارتفعت قيمة العقارات السكنية ، التي نشطت بسبب هبوط سعر الفائدة ، ارتفاعًا مفاجئًا .

ـ قامت المؤسسات المالية بتيسير الحصول على قروض الرهن العقاري إلى حد كبير .

ـ شجعت الحكومة برامج الرهون العقارية الثانوية ، الأمر الذي دفع أعدادًا كبيرة من أفراد الأقليات (السود ، وذوو الأصول الإسبانية) لكي يصبحوا مشترين للمنازل لأول مرة . وكنت أرى أن ذلك التوسع في الملكية يمنح المزيد من الناس حصة في مستقبل بلدنا ، ويبشر بالخير فيما يتعلق بتماسك الأمة .

ـ كنت أعي أن تسهيل شروط الائتمان الخاصة بالرهن العقاري لمقترضي التصنيف الائتماني المنخفض يؤدي إلى زيادة المخاطر

الائتمانية . غير أني بالمقابل كنت أعتقد أن لتوسيع ملكية المنازل فوائد تستحق هذه المخاطرة .

قيود رجال الدين والدولة

تأثر آدم سميث (١٧٢٣ـ ١٧٩٠م) بأفكار حركة الإصلاح ، ولأول مرة في تاريخ الحضارة الغربية بدأ الأفراد ينظرون إلى أنفسهم على أنهم قادرون على العمل بشكل مستقل عن قيود رجال الدين والدولة ، وانتشرت الأفكار الحديثة الخاصة بالحرية السياسية والاقتصادية .

اليد الخفية

المنافسة عامل أساسي ؛ لأنها تدفع كل شخص لكي يصبح أكثر إنتاجية ، في الغالب من خلال التخصص وتقسيم العمل ، وكلما زادت الإنتاجية زاد الرخاء . إن الأفراد الذين يتنافسون من أجل المكسب الخاص يتصرفون وكأن يدًا خفية تقودهم إلى تعزيز المصلحة العامة . فإننا حسب آدم سميث لا نتوقع الحصول على عشائنا بفضل إحسان اللحام أو الخباز ، بل نتيجة لاهتمام كل منهما بمصلحته الشخصية .

تعليق : فكرة آدم سميث فكرة صحيحة ، فالأعمال لا يمكن أن تقوم على التبرع ؛ لأن التبرع نادر ، بل لا بد من أن تقوم هذه الأعمال على أساس المعاوضة والتجارة وتحقيق الأرباح ، وهو ما سبق إليه علماء المسلمين . كذلك فكرة اليد الخفية لها أصل عند علمائنا ، كما هو مبين في مواضع أخرى .

هل الحصول على الثروة منافٍ للأخلاق ؟

جاء في الكتاب المقدس : « دخول جمل من ثقب الإبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله » . ومع أن جذور الاشتراكية دنيوية ، إلا أن

قوتها السياسية الدافعة مشابهة لكثير من الوصفات الدينية التي تسعى إلى تخفيف مآسي الفقراء . وقد تم الحكم على السعي وراء الثروة بأنه منافٍ لقواعد الأخلاق ، وذلك قبل ظهور دولة الرفاه بزمن طويل .

تعليق : السعي وراء التجارة والثراء والربح ليس حرامًا في الإسلام ، إذا كان ضمن أحكام الإسلام وآدابه . فالغني الشاكر صحيح أنه نادر ، إلا أن له مكانته في الدنيا والآخرة .

السبيل إلى الثروة

كان (سميث) يؤمن بأن العمل بذكاء أكبر ، وليس بجد أكبر فحسب ، هو السبيل إلى الثروة .

قد يكون النشاط قانونيًا مع أنه بغيض

ـ ليست كل الأنشطة التي تمارس في الأسواق تتسم بالتمدن ، فالكثير منها بغيضة ، على الرغم من كونها قانونية .

ـ انتهاك القانون وخيانة الثقة يقوضان كفاءة الأسواق .

تعليق :

ـ سبق أن نقلت مثل هذا الكلام عن الفيلسوف الفرنسي (آندريه كونت **سبونفيل**) في كتابه : **هل الرأسمالية أخلاقية ؟**

ـ ألا ترى أن رجال الاقتصاد لا غنى لهم عن الأخلاق والآداب والفضائل والمستحبات ، حتى مع وجود القوانين ؟ !

فبلن

اقتصادي أمريكي (. . .) اشتهر عنه مصطلح (**الاستهلاك التفاخري**) في كتابه (نظرية طبقة الفراغ) ، أو الطبقة المترفة . فقد

نكون أصدقاء إلا أننا أيضًا متنافسون في الدخل والخرج والمحاكاة ، وكلما حققنا مستوى معيشة أعلى سرعان ما نتصور أن هذا المستوى صار عاديًا ؛ لأن أي مكسب من الرضا الإنساني ليس إلا أمرًا مؤقتًا .

الضغط العصبي

إذا ربطت السعادة بالرفاه المادي فقط ، فإن كل أشكال الرأسمالية تتلاقى عند النموذج الأمريكي ، ومع أنه هو الأكثر ديناميكية وإنتاجية ، إلا أنه هو النموذج الذي يخلق أكبر قدر من الضغط العصبي ، لاسيما في سوق فرص العمل . فإن حوالي ٤٠٠ ألف شخص في الولايات المتحدة **يفقدون وظائفهم** كل أسبوع .

التفكير الحمائي

دخلت الطبقة الصناعية الجديدة في صراع مع الطبقة الأرستقراطية التي كانت ثروتها تقوم على الأملاك الموروثة . وبدأ التفكير الحمائي ، المعروف بالمذهب المركنتيلي ، الذي خدم مصالح ملاك الأراضي ، يفقد قبضته على التجارة .

رفع القيود

أدى رفع القيود إلى زيادة كبيرة في مرونة الاقتصاد وقدرته على التكيف .

التضخم

لا يجب التهوين من معدل التضخم الذي يتراوح بين ٤,٥ و٥ ٪ ، فلن يسعد أحد برؤية أمواله المدخرة تفقد نصف قدرتها الشرائية خلال ١٥ عامًا أو نحو ذلك .

ربط الأجور

ربط الأجور بالأسعار ليس سوى مسكّن ، من المرجح أن يؤدي على المدى الطويل إلى مشكلات ذات خطورة .

تفاوت فاحش بين الأجور

إنه لمن دواعي السخط الكبير أن يكون أجر **العامل** في المصنع عند الحد الأدنى ، بينما يحصل **المديرون** في الشركات على أرباح تصل إلى ملايين الدولارات !

تعليق : مكافآت المديرين الفاحشة صارت مسألة كثيرًا ما تطرح مع وقوع الأزمات المتكررة للبنوك والشركات .

الثقة

لابد من كسب الثقة ، فغالبًا ما تكون **السمعة** هي أكثر الأصول قيمة في ميزانيات المنشآت التجارية .

تعليق : هذا اعتراف آخر بمكانة الأخلاق في عالم الاقتصاد والأعمال ، ودعوى استبعاد الأخلاق دعوى كاذبة ومردودة .

الأمانة

باعتباري منظمًا للبنوك لمدة تزيد على ١٨ عامًا صرت أعترف بأن التنظيم الحكومي لا يمكن أن يحل محل الأمانة الشخصية .

تعليق : وهل يمكن التعويل على الأمانة الشخصية ، لاسيما في ظل نظام اقتصادي ينكر الأخلاق ويسمح بما ينافيها ؟

الثروة السهلة

إن الثروة السهلة غير المكتسبة غالبًا ما تضعف القدرة الإنتاجية . وقد وفرت دول **النفط الخليجية** الكثير من وسائل الراحة لمواطنيها ، على نحو جعل من ليس لديهم رغبة فطرية في العمل لا يعملون . وأصبحت الأعمال العادية من نصيب المهاجرين والعمال الوافدين .

المرض الهولندي

ـ هذا المصطلح وضعته مجلة (إيكونوميست) في السبعينيات لوصف عناء أصحاب المصانع في هولندا بعد اكتشاف الغاز الطبيعي فيها .

ـ قال الرئيس الفنزويلي فراديك دي منزيس عام ٢٠٠٣م : لقد وعدت شعبي بأننا سوف نتحاشى ما يسميه البعض (المرض الهولندي) أو **لعنة النفط** .

ـ تبين الإحصاءات أن الدول النامية الغنية بالموارد الطبيعية هي أسوأ أداءً في نمو إجمالي الناتج المحلي من الدول الفقيرة بالموارد الطبيعية .

تعليق : إذا تم الاتكال على النفط والموارد الطبيعية فإن هذا قد يحول النعمة نقمة .

الرأسمالية

ـ لا أزعم أن العالَم يوشك أن يعتنق رأسمالية السوق ، باعتبارها الشكل الوحيد المناسب للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي . فلا تزال هناك أعداد كبيرة من الناس تعتبر الرأسمالية مهينة بتأكيدها على النزعة المادية .

ـ على امتداد ١٢ جيلاً ، حققت الرأسمالية التقدم تلو التقدم ،

وارتفعت مستويات المعيشة ونوعياتها بمعدلات غير مسبوقة ، عبر أجزاء كبيرة من المعمورة .

ـ على الرغم مما أثبتته رأسمالية السوق من أنها مثمرة على نحو رهيب ، إلا أن نقطة ضعفها هي تنامي تصور أن مكافآتها ، التي تميل بشكل متزايد إلى أصحاب المهارات ، لا توزع بالعدل .

تعليق : هذا اعتراف بالظلم وعدم العدالة في النظام الرأسمالي .

غاية في التعقيد

ـ أصبح الاقتصاد العالمي على قدر كبير من التعقيد والتداخل ، ولابد لعملية وضع السياسات التي نقوم بها من التطور ؛ لكي تتجاوب مع هذا التعقيد .

ـ أصبحت الأسواق على قدر كبير من الضخامة والتعقيد وسرعة الحركة ، بحيث لا يمكن إخضاعها للإشراف والتنظيم كما كانا في القرن العشرين . وليس مستغربًا أن يمتد هذا العملاق المالي ، بحيث يصعب فهمه حتى على أكثر المشاركين في السوق تقدمًا .

ـ في عالم اليوم لا يمكنني أن أرى كيف يمكن للمزيد من التنظيم الحكومي أن يساعد في شيء . فعلى سبيل المثال قد يكون جمع بيانات عن الميزانيات العمومية لصناديق التحوط عديم الفائدة ؛ لأن هذه البيانات ستصبح قديمة قبل أن يجف الحبر .

تعليق : هذا التعقيد الذي قد يكون بعضه ، أو معظمه ، متعمدًا ، يجعل الحليم حيران عند محاولات الخروج من الأزمات والكوارث الاقتصادية التي تحدث في النظام الرأسمالي .

حقوق الملكية

ـ إن الملكية في الصين يمكن أن تكون مشروطة إلى حد كبير ، فهل أنا أملك قطعة من الأرض ملكية تامة ، أم إن عليها العديد من حقوق الاستعمال ، التي تقلل قيمتها إلى حد كبير بالنسبة لي ؟

ـ إذا كان بإمكان الحكومات الاستيلاء على أرضي حسب تقديرها ، فما هي قيمة حقوق ملكيتي ؟

ـ في ظل الخوف الدائم من نزع الملكية ، ما الجهد الذي يمكن أن أقوم به لتحسين أملاكي ؟ وما الثمن الذي يمكنني تحديده إذا اخترت بيعها ؟ .

تعليق : من لم يطمئن إلى حماية القانون لملكيته الخاصة حماية فعلية فإنه يشعر بأن حريته ضعيفة ، وسعيه ونشاطه فاتران .

الملكية الفكرية

ـ عالمنا الحالي وُضع من أجل عالم تكون فيه الغلبة للأصول المادية ، فلم يعد مناسبًا لاقتصاد يتزايد فيه تجسد القيمة في الأفكار أكثر من تجسدها في الأصول المادية الملموسة .

ـ إن أهم قرار اقتصادي سوف يواجه واضعي القوانين ، والمحاكم لدينا ، في السنوات الخمس والعشرين المقبلة ، هو توضيح قواعد الملكية الفكرية .

الدَّين

ثمة حقيقة أساسية خاصة بالحياة الحديثة ، هي أنه في اقتصاد السوق يسير ارتفاع الدَّين جنبًا إلى جنب مع التقدم .

تعليق : أصل الدَّين مشروع في الإسلام ، كما في البيوع المؤجلة ، ولكن هناك ضوابط وأحكام شرعية تمنع التوسع في الدَّين والإفراط فيه ، بما قد يؤدي إلى العجز عن السداد والإفلاس .

العجز

ـ أسباب عجز الحساب الجاري الأمريكي الضخم في السنوات الأخيرة أسباب تفاعلية تجعل من الصعب فصل أحدها عن الآخر . فعلى سبيل المثال إن حدوث ارتفاع في ادخار الأسرة المعيشية ، بافتراض **بقاء الأشياء الأخرى على حالها** ، يخفض عجز الحساب الجاري للبلد .

ـ لكن الأشياء الأخرى **لا تبقى على حالها** أو لا تتساوى . فالزيادة في ادخار الأسر المعيشية تعني ضمنًا هبوطًا في إنفاق الأسر المعيشية ، ومن ثم هبوطًا في ادخار الشركات ، حيث تقل الأرباح . وهذا يؤدي إلى هبوط إيرادات الدولة من الضرائب على الأرباح ، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى انخفاض ادخار الحكومة ، وهلم جراً . وبما أن جميع مكونات الادخار والاستثمار متداخلة فيما بينها ، فإن العلاقات تتسم بالغموض .

تعليق : قد يفهم من هذا أن المؤلف يعترض على فرض بقاء الأشياء الأخرى على حالها ، والصحيح أن الفرض صحيح ، ويراد منه معرفة تأثير كل متغير على حدة ، أما أن تبقى الأشياء الأخرى على حالها أو لا تبقى فهذا أمر آخر لا يضعف الفرض .

ـ أتوقع أن يستمر الخلاف في أسباب الزيادة الحادة في عجز الحساب الجاري الأمريكي . لكن السؤال المهم : هل سيكون التكيف ، الذي يبدو أنه حتمي ، أمرًا حميدًا ، أم إنه سيؤدي إلى **أزمة مالية دولية** ، عندما ينهار الدولار ، كما يخشى كثيرون ؟ أنا أميل ، كما أشرت من قبل ، إلى النتيجة الحميدة .

تعليق : وقعت الأزمة عام ٢٠٠٨م ولم يصدق توقع المؤلف . وتشير التحقيقات الجارية حاليًا إلى أن المؤلف واحد من العشرة الكبار المسؤولين عن الأزمة .

التضخم

من الصعب كبح جماح التضخم في عالم العملات الورقية .

الطاقة أو النفط

ـ تغيرت نبرة صداقتنا منذ منصبه الجديد ، فأنا لم أعدْ أناديه ديك (ديك تشيني) ، بل : سيدي نائب الرئيس ، ومع أنه لم يطلب مني هذه المخاطبة الرسمية الجديدة ، إلا أنه لم يعترض عليها . وكانت أحاديثنا بشكل أساسي حول التحديات التي تواجه الولايات المتحدة ، وكانت الطاقة موضوعًا أساسيًا .

ـ النفط متغلغل في عالم اليوم الاقتصادي ، بحيث يمكن لأي انقطاع مفاجئ في العرض أن يربك اقتصادنا واقتصادات دول أخرى . وفي نهاية المطاف يتطلب الأمن القومي الأمريكي أن ننظر إلى النفط على أنه مصدر طاقة بالاختيار وليس بالاضطرار .

ـ بغض النظر عن قلق السلطات الأمريكية والبريطانية المعلن بشأن **أسلحة الدمار الشامل** الخاصة بصدام حسين ، فقد كانت هذه السلطات معنية أيضًا بالعنف ، في منطقة تؤوي موردًا لا يمكن الاستغناء عنه لكي يعمل الاقتصاد العالمي .

ـ يحزنني أنه ليس من المناسب سياسيًا الاعتراف بما يعرفه الجميع : وهو أن **حرب العراق** كانت إلى حد كبير **من أجل النفط** . إن دور النفط

لا زال كبيرًا بحيث يمكن لأي أزمة نفط أن تحدث ضررًا بالغًا بالاقتصاد العالمي .

ـ من المعقول إلى حد كبير أن ينتهي التمرد العراقي ، وأن يولّد العراق أكثر من ٥ ملايين برميل يوميًا من احتياطياته الضخمة غير المستخرجة .

التدمير الخلاق

ـ التدمير الخلاق Creative Destruction أو الإبداعي أو البنّاء هو الفكرة التي أبرزها أستاذ الاقتصاد بجامعة هارفارد جوزيف **شومبيتر** عام ١٩٤٢م . وهي فكرة واضحة ؛ لأنها قوية ، مفادها أن اقتصاد السوق سوف يجدد نفسه باستمرار من الداخل ، بالتخلص من الأعمال القديمة الفاشلة ، وإعادة توزيع الموارد على الأعمال الأحدث الأكثر إنتاجية . لقد قرأت شومبيتر وأنا في العشرينيات من عمري ، وكنت أظن أنه دائمًا على صواب .

ـ انتعاش التكنولوجيا الفائقة السريع الخطى هو ما حقق في النهاية قدرًا كبيرًا من الرواج لفكرة شومبيتر ؛ التي أصبحت عبارة شائعة في **تكنولوجيا المعلومات** .

ـ وجد ملايين الأمريكيين أنفسهم فجأة معرضين للجانب المظلم من التدمير البنّاء ؛ إذ دخلت مهن السكرتاريا والأعمال الكتابية في برامج الكمبيوتر ، مثل أعمال الرسم في العمارة والتصميم الآلي والصناعي . وأصبح **عدم الأمان الوظيفي** قضية بالنسبة لذوي الياقات البيضاء ، كما كان سابقًا قضية بالنسبة لذوي الياقات الزرقاء .

انهيار إنرون

زاد إفلاس شركة إنرون في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١م من

التشاؤم وعدم التأكد . فقد بدأت موجة من **فضائح المحاسبة** والإفلاسات التي تكشف عن **الجشع** وسوء التصرف اللذين ينشران **العدوى** ، وهما الجانب المظلم من الانتعاش الاقتصادي العظيم .

انهيار ورلد كوم

في صيف ٢٠٠٢م انهارت شركة الاتصالات العملاقة ورلد كوم في سحابة من غش المحاسبة ، وبما أن قيمة أصولها ١٠٧ مليار دولار فقد كان إفلاسها **أكبر إفلاس في التاريخ** .

شراء الأصوات

اشتكى (جاك كيمب) من أن الديمقراطيين يشترون الأصوات باستمرار لتشجيع الإنفاق في كل مكان . وفي النهاية سوف يقع العجز الناتج عن ذلك في حجر الإدارة الجمهورية كي تحله .

تخفيض الضرائب

أصبحت قضية تخفيض الضرائب لفترة قصيرة سيركًا إعلاميًا . ففي ذلك الأسبوع نشر أكثر من ٤٥٠ اقتصاديًا ، منهم ١٠ من الحائزين على **جائزة نوبل** ، خطابًا يقولون فيه : إن تخفيض الضرائب الذي يقترحه بوش سوف يزيد العجز بدون أن يساعد الاقتصاد كثيرًا . وقد ردّ البيت الأبيض برسالة وقع عليها ٢٥٠ اقتصاديًا يدعمون خطته .

لا وقت لدي للأكل

كان الرئيس بوش يدعوني في كل عام عدة مرات لتناول طعام الغداء في غرفة طعامه الخاصة ، مع نائب الرئيس ديك تشيني ، وأندي كارد ، وأحد مستشاريه الاقتصاديين . وكنت أنا من يتحدث معظم الوقت ، عن

الاتجاهات والمشكلات الاقتصادية العالمية . وكنت أتحدث كثيرًا حتى إني لا أذكر أنه كان لدي وقت للأكل . وينتهي بي الحال لأن آكل لقمة عند عودتي إلى مكتبي .

انتخابات الكونغرس

كان من الصعب قياس إجمالي مبالغ **الرشاوى الانتخابية** ، لقد كانت بعشرات الملايين من الدولارات !

الصين

ـ الاقتصاد الصيني ثاني أكبر اقتصاد بعد الولايات المتحدة ، وأكبر مستهلك للسلع في العالم ، وثاني أكبر مستهلك للنفط في العالم ، وأكبر منتج للصلب .

ـ تفاوت الدخل في الصين أكثر منه في الولايات المتحدة ، وهذا أمر يبعث على الدهشة .

روسيا

أدهش العجز عن تسديد القروض المستثمرين والبنوك الذين صبّوا الأموال في روسيا ، بالرغم من المخاطر الواضحة . وكان الكثيرون يفترضون أن الغرب سينقذ القوة العظمى المنهارة ، فقد كان القول السائد هو أن روسيا دولة نووية إلى حد كبير **لا يمكن معه أن تفشل** . وكان هذا الرهان خاطئًا .

أكبر من أن يفشل

قالت صحيفة نيويورك تايمز في صدر صفحتها الأولى : بنك الاحتياط الفيدرالي ينقذ أحد الصناديق ؛ لأنه يراه أكبر من أن يفشل .

أغنى رأسمالي في العالم

عندما زار (**بيل غيتس**) ، أغنى رأسمالي في العالم ، (هانوي) حيَّاه قادة الحزب الشيوعي الفيتنامي ، وتجمعوا حوله بإعجاب . إن للأفكار أهميتها ، والواقع أنه اتضح أن **أفكار أمريكا الرأسمالية أشد بأسًا من سلاحها** .

الحدود

لم يكن هناك في واشنطن سؤال أكبر من هذا السؤال : لماذا لم يقع هجومٌ ثانٍ ، إذا كانت نية القاعدة هي إرباك الاقتصاد الأمريكي ، كما أعلن (بن لادن) ؟ كان مجتمعنا مفتوحًا ، وحدودنا يسهل اختراقها ، وقدرتنا على كشف الأسلحة والقنابل ضعيفة (. . .) . لو أن هجومًا ثانيًا ، أو ثالثًا ، أو رابعًا قد وقع ، هل كانت ثقافتنا ستتحمله ؟ هل كنا سنتمكن من الحفاظ على اقتصاد قادر على البقاء ، كما هو الحال لدى الإسرائيليين ؟ (. . .) . لقد كانت لدي ثقة كبيرة في أنه يمكننا ذلك ، غير أن ذلك الشك موجود باستمرار .

تعليق : كل شيء يقوله غرينسبان بتحفظ شديد ، حتى إنك يمكن أن تفهم من قوله المعنى وعكسه ! وذلك على طريقة الكثير من العلماء : نعم . . ولكن . وهذا عائد لطبيعته من جهة ، ولتعقد الأمور من جهة أخرى .

مؤشر حقيبة الأوراق !

اخترعت (سي إن بي سي) حيلة تسمى مؤشر حقيبة الأوراق ، فقد كانت الكاميرات تتبعني في صباح اجتماعات لجنة الأسواق المفتوحة

الفيدرالية إلى أن أصل إلى بنك الاحتياط الفيدرالي . فإذا كانت الحقيبة غير منتفخة فإن عقلي يكون غير مضطرب ، ويكون الاقتصاد جيدًا . أما إذا كانت الحقيبة محشوة ومنتفخة ؛ فهذا يعني أنني أمضيت جزءًا كبيرًا من الليل في العمل ، وأن هناك ارتفاعًا وشيكًا في أسعار الفائدة . لكن غاية ما في الأمر أنني وضعت وجبة الغداء في الحقيبة !

التقاعد

عندما أراد كلنتون إعادة تعييني لفترة رابعة ، صحيح أنني كنت في الثالثة والسبعين من عمري ، غير أنني لم أكن أرى أيَّ نقص في قدرتي الإبداعية ، أو في قدرتي على معالجة العلاقات الرياضية ، أو على شهيتي للعمل .

الانتحار

كان أحد أول الكتب التي قرأتها عن **سوق الأوراق المالية** البريطانية هو كتاب عن (جيسي ليفرمور) ، الذي كان **مضاربًا** مشهورًا في العشرينيات ، كان يعرف بفتى وول ستريت الغواص . تقول الأسطورة : إنه كسب ١٠٠ مليون دولار من خلال البيع على المكشوف ، عشية انهيار ١٩٢٩م . وأصبح غنيًا وأفلس ٣ مرات ، قبل أن ينتحر في عام ١٩٤٠م .

البارونات اللصوص

أصبحت هوايتي فهم كل المعرفة الموجودة على تلك الرفوف ، حيث قرأت عن البارونات اللصوص . وهو كما ذكر المترجم تعبير أطلقه الرئيس الأمريكي **روزفلت** في مطلع القرن العشرين ، على أفراد العائلات التي بنت مجدها على أموال مغتصبة أو مسروقة .

قصور التعليم

ـ يلاحظ قصور التعليم الابتدائي والثانوي في الولايات المتحدة . فهناك طلاب **لا يمكنهم كتابة جملة** واحدة مترابطة ، **ولا يمكنهم جمع عمود** واحد من الأرقام جمعًا دقيقًا .

ـ أخفق نظام التعليم الابتدائي والثانوي الأمريكي ، الذي يتسم بالقصور ، في إعداد طلابنا بالسرعة الكافية لمنع حدوث نقص في **العمال المهرة** . وما لم يرفع النظام التعليمي في أمريكا مستويات المهارة بالسرعة التي تتطلبها التكنولوجيا ، فسوف يظل العمال المهرة يتقاضون زيادات في الأجور ؛ تؤدي إلى شطط أكثر إزعاجًا في **تركز الدخول** .

جامعة الهامبورجر

تقوم كثير من الشركات غير المكتفية بجودة العاملين الجدد لديها ، باستكمال تعليمهم وقدراتهم ؛ لإعدادهم للمنافسة في الأسواق العالمية . فلدى شركة جنرال موتورز نظام جامعي واسع ، يضم ١٦ كلية وظيفية . وتقوم شركة ماكدونالدز بتعليم أكثر من ٥٠٠٠ موظف في السنة في **جامعة الهامبورجر** التابعة لها .

الجمجمة والعظام

كان وزير المالية برادي والرئيس بوش صديقين يشتركان في كثير من الأمور ، فكلاهما شخص ثري وعريق النسب ، كلاهما تخرج من جامعة يال ، كلاهما عضو في « الجمجمة والعظام » . وهي جمعية سرية تهدف إلى أن يحتل أعضاؤها أهم المراكز في البلاد .

مُعالج الكلمات

كنت أساعد في إعداد القسم الاقتصادي من خطاب الرئيس . وكانت الأمور تتغير بسرعة ، وكنا نضطر إلى إعادة الصياغة حتى آخر لحظة . وكان ذلك عملاً مملاً ؛ لأن معالج الكلمات لم يكن قد اخترع بعد . كنا نعمل بالمقص والشريط اللاصق و سائل التصحيح الأبيض !

المصادر

ـ بالإضافة إلى مواقع شبكة الإنترنت ، ذكر المؤلف قائمة طويلة من المصادر نقلت في الترجمة العربية كما هي على ٣ صفحات . ولكنه لم يُحِلْ إلى أي منها في الهوامش . فإحالاته إلى الكتب والمجلات والصحف لا تتجاوز خمس إحالات .

ـ لو أردت ذكر كل مصادري ، وأمكنني ذلك ، لاحتجت إلى كتاب آخر في حجم كتابي هذا .

تعليق : لعله يقصد كل ما قرأه في حياته كلها .

التأليف والتحرير

ـ كتابي هذا عبارة عن ستة عقود (٦٠ سنة) من المعرفة المتراكمة .

ـ ذكر المؤلف قائمة طويلة جدًا من المساعدين له في التأليف والتحرير وقراءة المخطوط وإبداء الملاحظات ، وتفريغ أشرطة المقابلات ، وتحضير الأرقام والقصص والحكايات .

تعليق : ربما يتساءل القارئ بعد ذلك كله : من الذي ألّف الكتاب ، وكيف تم تأليفه بهذا الحشد من المساعدين والمحررين والمشجعين ؟ مثل هذه الأمور لا نعرفها نحن العرب والمسلمين في عالم التأليف .

فالمؤلف يكاد يكون وحيدًا ، ولا يكاد يستطيع أن يجد محررًا ، وأن ينجح في التعامل معه ، وهو واحد ، فكيف إذا كثر العدد وصار فريقًا كبيرًا ؟ ولو وقع كتاب في يد فريق عندنا عدد أفراده بعدد أفراد ذلك الفريق لما خرج الكتاب إلى النور أبدًا .

ـ نحن معشر العرب والمسلمين بحاجة إلى دراسة فن تحرير الكتب .

ـ ذكر المؤلف أن كتابه يقع في ٢٠٠ ألف كلمة ، وأن هناك أخطاء تقع في النهاية على عاتقه ، ولو علم بها لصححها .

ـ بالنظر لانشغاله في العمل الإداري والإشرافي ، فإن كتابه هذا لعله هو الكتاب الوحيد الذي ألّفه ، وقد فرغ منه في بضعة شهور ، طبعًا هذا بالإضافة إلى رسالة الدكتوراه التي ربما لم تنشر . ولكنه كان ينشر مقالات في الصحف والمجلات .

الترجمة

المترجم **أحمد محمود** ، كما جاء على غلاف الكتاب ، مصري حاصل على **جائزة** محمد بدران في الترجمة من المجلس الأعلى للثقافة ، وله عدة ترجمات سابقة .

والمراجع **سامر أبو هواش** لبناني من مواليد ١٩٧٢م ، كاتب وروائي وشاعر ومترجم .

الكتاب يخلو من قائمة مصطلحات ، والترجمة والمراجعة فيه هي على الشيوع كالعادة ، بحيث لا يمكن معرفة ما أضافته المراجعة إلى الترجمة .

والترجمة جيدة وواضحة ، والجهد فيها مقدر لاسيما وأن الكتاب كبير وذو طابع اقتصادي على خلاف التكوين الأدبي للمترجم والمراجع .

ويلاحظ في الآونة الأخيرة تحسن مستوى الترجمة في كتب الاقتصاد ، ولعل ذلك يعود إلى جوائز الترجمة التي استحدثت في السعودية وغيرها من بلدان الخليج .

لكن مع ذلك وقعت **أخطاء لغوية** ، منها :

ـ ثمانية سنوات ، والصواب : ثماني .

ـ يفرض علينا تحديات جسام ، والصواب : جسامًا . وهذا ظاهر في الغلاف أيضًا .

ـ فوق بعضها البعض ، والصواب : بعضها فوق بعض . وهو خطأ متكرر .

ـ مشترواتها ، والصواب : مشترياتها .

ـ يشمل تجميد طوعي للأسعار ، والصواب : تجميدًا طوعيًا .

ـ إن لذلك معنى اقتصادي ، والصواب : اقتصاديًا .

ـ كان الدولار آخذ في الضعف ، والصواب : آخذًا . وهو خطأ متكرر .

ـ خلال العشرة أيام ، والصواب : خلال الأيام العشرة . وهو خطأ متكرر .

ـ هبطت التعاملات بمقدار خمسة نقطة ثمانية ، والصواب : خمسة فاصلة ثمانية ٥,٨ .

ـ نصيغ البيان العام ، والصواب : نصوغ . وهو خطأ متكرر .

ـ من الممكن احتواءه ، والصواب : احتواؤه .

ـ لن ينسَ ، والصواب : ينسى .

ـ لم يضيرهم شيء ، والصواب : يضرهم .

ـ لم تحضر آندريه أي من شهاداتي في الكونغرس ، والصواب : أيّاً .

ـ يطالبون بهامش فائدة إضافي لتعويض الشك والمخاطر المضافة ، والصواب : عدم التأكد (بدل الشك) .

ـ أحد قطع الديكور ، والصواب : إحدى . وهو خطأ متكرر .

ـ تكاد لا تكون لها عائدات ، والصواب : لا يكاد يكون لها عائدات .

ـ الاستثمار يكاد لا يساوي الادخار ، والصواب : لا يكاد يساوي .

ـ بالكاد بعد أربعة عقود ، والصواب : بعد أربعة عقود تقريبًا .

ـ تجاوز المؤشر الستة آلاف نقطة ، والصواب : ستة آلاف .

ـ كان الناس يستوقفوني ، والصواب : يستوقفونني .

ـ لا أرغب في إعطاء انطباعًا ، والصواب : انطباع .

ـ كانت الطاقة موضوع أساسي ، والصواب : موضوعًا أساسيًا .

ـ أكبر تحدي اقتصادي ، والصواب : تحدّ .

ـ أن يكون هناك انخفاضًا ، والصواب : انخفاض . وهو خطأ متكرر .

ـ لو أن هجومًا ثان ، أو ثالث ، أو رابع ، والصواب : ثانيًا ، أو ثالثًا ، أو رابعًا .

ـ ما لم تعاد آلية التنفيذ ، والصواب : تعد .

ـ أحدث كوني أتحدى خطة الإدارة على نحو علني هياجًا : ركيك . يمكن أن يقال بدلاً من ذلك : بما أني كنت أتحدى خطة الإدارة فقد أحدث هذا هياجًا .

ـ لا يمكنهم شراءها ، والصواب : شراؤها .

ـ الفرشخة ، كان من المستحسن أن يذكر اللفظ الأجنبي ، لاسيما مع غياب قائمة المصطلحات .

ـ تحاولان ألا تفصحان ، والصواب : تفصحا .

ـ دفاتر بخانة واحدة ، لعل المقصود : الدفاتر المحاسبية ذات القيد البسيط .

ـ دفاتر ذات خانتين ، لعل المقصود : الدفاتر المحاسبية ذات القيد المزدوج . وهذا اصطلاح محاسبي شائع .

ـ صناديق التغطية ، لعل الأفضل : صناديق التحوط .

ـ تكلفة هامشية ، لعل الأفضل : تكلفة حدية ، وهو مصطلح اقتصادي شائع . الملاحظة متكررة .

ـ إن هناك نقصًا شديدًا آخذ في التزايد ، والصواب : آخذًا .

ـ التحول التكتوني إحدى مشكلات القرن الحادي والعشرين : غامض !

ـ كما يشير الأمينان العموميان نفسيهما ، والصواب : نفساهما ، بل أنفسهما .

ـ هذا التحليل معيوب ، والصواب : معيب ، أو فيه عيوب .

ـ محاسبة من يدخل أولاً يخرج أولاً ، والصواب : ما يدخل أولاً يخرج أولاً ، أو الداخل أولاً خارج أولاً .

ـ كونسورتيوم ، لعل الصواب : كونسورسيوم .

ـ يمكن أن يكون هذا واقع بالفعل ، والصواب : واقعًا .

ـ بضع منتجين ، والصواب : بضعة .

ـ إذا ما أعدنا النظر لأمكننا ، والصواب : أمكننا . ويمكن أيضًا : لو أعدنا النظر لأمكننا .

ـ إحلال الموتور الكهربائي محل المحرك البخاري ، لعل الأفضل : المحرك (بدل الموتور) .

ـ بتمويلها جزء ضخم من الاقتصاد ، والصواب : جزءًا ضخمًا .

* * *